أوراق فقدٍ

أعدَّهُ

فريد بن عبد العزيز الزامل السليم

جامعة القصيم

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السليم، فريد بن عبدالعزيز

أوراق فقد./ فريد بن عبدالعزيز السليم.- القصيم، ١٤٢٦هـ

١٣٦ ص، ١٤×٢٠ سم

ردمك: ٧ – ٨٧٧ – ٤٧ – ٩٩٦٠

١ – القصص القصيرة العربية – السعودية   أ – العنوان

ديوي ٨١٣.٠١٩٥٣١   ١٤٢٦/٢٦٦٥

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٢٦٦٥

ردمك: ٧ – ٨٧٧ – ٤٧ – ٩٩٦٠



مكتبة الرشد ـ ناشرون

المملكة العربية السعودية ـ الرياض

شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)

ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ ـ هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ ـ فاكس: ٤٥٧٣٣٨١

E-mail: alrushd@alrushdryh.com

Website: www.rushd.com

★ فرع طريق الملك فهد: الرياض ـ ت: ٢٠٥١٥٠٠ ـ ف: ٢٠٥٢٣٠١
★ فرع مكة المكرمة: ت: ٥٥٨٥٤٠١ ـ ف: ٥٥٨٣٥٠٦
★ فرع المدينة المنورة: شارع أبي ذر الغفاري ـ ت: ٨٣٤٠٦٠٠ ـ ف: ٨٣٨٣٤٢٧
★ فرع جدة: ميدان الطائرة ـ ت: ٦٧٧٦٣٣١ ـ ف: ٦٧٧٦٣٥٤
★ فرع القصيم: بريدة ـ طريق المدينة ـ ت: ٣٢٤٢٢١٤ ـ ف: ٣٢٤١٣٥٨
★ فرع أبها: شارع الملك فيصل ـ تلفاكس: ٢٣١٧٣٠٧
★ فرع الدمام: شارع الخزان ـ ت: ٨١٥٠٥٦٦ ـ ف: ٨٤١٨٤٧٣

وكلاؤنا في الخارج

★ القاهرة: مكتبة الرشد ـ ت: ٢٧٤٤٦٠٥
★ بيروت: دار ابن حزم ـ ت: ٧٠١٩٧٤
★ المغرب: الدار البيضاء ـ وراقة التوفيق ـ ت: ٣٠٣١٦٢ ـ ف: ٣٠٣١٦٧
★ اليمن: صنعاء ـ دار الآثار ـ ت: ٦٠٣٧٥٦
★ الأردن: عمان ـ الدار الأثرية ـ ت: ٦٥٨٤٠٩٢ ـ جوال: ٧٩٦٨٤١٢٢١
★ البحرين: مكتبة الغرباء ـ ت: ٩٥٧٨٣٣ ـ ٩٤٥٧٣٣
★ الإمارات: مكتبة دبي للتوزيع ـ ت: ٤٣٣٣٩٩٩٨ ـ ف: ٤٣٣٣٧٨٠٠
★ سوريا: دار البشائر ـ ت: ٢٣١٦٦٦٨
★ قطر: مكتبة ابن القيم ـ ت: ٤٨٦٣٥٣٣


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله..

أما بعد: فهذه صور من أثر الفقد.. ونفثات من فؤاد مكلوم به.. فقدُ أحبة لم ينشِئ حبَّهم رحم، ولم يبعثه جمال صورة، أو طول لقاء وألفة، أحبَّةٌ اشترك في حبهم كلُّ من أنصف الناس، وميَّزهم، وعرف أقدارهم..

أحببت أن أنشر هذه الكلمات، وإن كانت لم تصل إلى ما أريدها أن تكون عليه لتنشر، إلا إنه شفع لها شَرَفُ المقولةِ فيهم، وحسبي بذلك شفيعًا..

وإني لأرجو أن تُطْلِقَ هذه النفثاتُ قلبَ القارئ ولسانَهُ، بدعوة ضارعة صالحة، للقائل والمقول فيهم، فيتقبلها ذو الفضل والكرم، فهو - سبحانه - السميع

المجيب، وحسبي بذلك غُنمًا . .

فريد بن عبد العزيز الزامل السُّليم
عنيزة ٧جمادى الأولى ١٤٢٥هـ



خطبة عُقَيبَ
وفاة شيخنا محمد العثيمين[١]

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، وتوبوا إليه واعتصموا به، وارجعوا إليه في كل أموركم، وإذا تفضل عليكم بما يسركم من النعم والهبات فاحمدوه واشكروه، وإذا ابتلاكم بما يحزنكم من المصائب فاصبروا وقولوا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ .

---

(١) خطبةٌ ألقيتها في جامع السليمانية في عنيزة، في أول جمعة بعد وفاة الشيخ، ١٧شوال ١٤٢١هـ.

عباد الله: إن الله تعالى فضل العلم، وأعلى منزلته، ورفع العلماء وأعلى شأنهم، وجعل الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، والمخلوقات تسبح له حتى الحيتان في الماء، ووعد من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا أن يسهل الله له طريقًا إلى الجنة، وأخبر رسول الله ﷺ أن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وما ذاك - يا رعاكم الله - إلا لأن العلم فيه كمال خشية الله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ وذلك لأن في العلم عبادةَ الله على بصيرة؛ لأن فيه إحياءً لشرع الله، وإبقاءً لسنة رسوله ﷺ، إن العلماء ورثة الأنبياء، فمن أخذ بالعلم أخذ بحظ وافر.

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾(١) إن ممن رفعهم الله تعالى أهل العلم العاملين، «الذين هم أركان الشريعة،

---

(١) سورة المجادلة. من الآية: (١١).

وأمناء الله في خلقه، هم الذين يدحرون انتحال المبطلين، وتأويل الضالين، وأهواءَ أهل البدع المغرضين، فلله درهم ما أحسن أثرهم، وما أطيب ذكرهم، وما أشمل بركتهم، رفعهم الله بالعلم، يعرفون به الحلال من الحرام، والحق من الباطل، والهدى من الضلال، حياتهم غنيمة، وموتهم مصيبة، يذكرون الغافل، ويعلمون الجاهل، جميع الخلق إليهم محتاج، هم سراج البلاد ومنار العباد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة، بهم تحيا القلوب، مثلهم في الأرض مثل النجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر»[١].

عباد الله: إن فقد العلماء مصيبة عظمى، وخطب جلل، إنه نقص للأرض، وخسارة لأهلها، يفقدون النور الذي يرشدهم إلى طريق السعادة، إذا فقد العلماء، تاه الناس في غياهب الجهل، وتخبطوا في ظلمات البدع والأهواء، في صحيح البخاري عن ابن

(١) مقتبس.

عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا (رؤساء) جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[١] ونقل الإمام الطبري رحمه الله وغيره عن بعض أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم أن نقص الأرض في قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾[٢] هو موت العلماء والفقهاء[٣].

أيها الإخوة المؤمنون: لقد فقدنا، وفقد العالم كله، عالمًا عظيمًا، وفقيهًا جليلًا، وداعيًا مخلصًا، أفنى عمره خادمًا للعلم، منقطعًا له، لم يحفل بالدنيا وزينتها، لم يرغب بلهوها ومتاعها، عاش زاهدًا ورعًا، إذا رأيته رأيت في وجهه هيبة العلم، وإشراق النزاهة،

---

(١) صحيح البخاري. كتاب العلم. باب (٣٤).
(٢) سورة الرعد. من الآية: (٤١).
(٣) جامع البيان (١٣/ ١٧٤).

وجمال الأخلاق، ورفعة التواضع، لقد فقدنا شيخنا محمدَ بن صالح العثيمين، بعد أن أروانا معينه حينًا من الدهر، بعد أن عاش بيننا إمامًا وخطيبًا، ومعلمًا ومفتيًا، ومصلحًا ومناصحًا، وواعظًا ومحسنًا، اكتنفته هذه البلدة، فولد فيها، ودرس فيها ودرس، تواصل عطاؤه أكثر من خمسة وأربعين عامًا، انبثق نوره من هنا، وعم جميع العالم، فبكى الناس في كل وجهة من مشارق الأرض ومغاربها، وتأثروا وعزى بعضهم بعضًا، فمصاب الناس به عامٌّ، فكيف بمن عرفه وعرف أخلاقه وسماحته وتواضعه، وكيف بأهله وقرابته وطلبته وجيرانه وأهل بلدته والقريبين منه:

وشتانَ من يبكي على غير عرفةٍ
جزافًا ومن يبكي لعهد تجرما[1]

لقد نفع الله به خلقًا عظيمًا، انتفعوا بدروسه ومواعظه ومحاضراته وفتاويه، وصلت كتبه وأشرطته

(١) البيت للبارودي. في ديوانه (٣/ ٤٠٠).

أصقاع الأرض، وألقى الله له القبول، وما ذاك - إن شاء الله - إلا دليل محبة الله له، ودليل صدقه وإخلاصه.

لقد حمل على كاهله همًّا عظيمًا، وتعددت مسؤولياته، ولقي من بعض السفهاء عنتًا وتعديًا في القول، فلم يمنعه ذلك ولم يثنه، كان بشوشًا في وجه من يلقاه، ملاطفًا للصغار والضعفة، يعامل الناس حسب مقاماتهم ومنازلهم وعلمهم ومكانتهم، كان حريصًا على السنة، جاهرًا بالحق، غير خائف في الله لومة لائم، كان عاقلًا متزنًا، لا يغره التسرع أو تخدعه العجلة، كان بعيد النظر، كثير التروي، ومواقف حياته شاهدة بهذا، فتأملوها فهي لا زالت طرية، لا زالت في أذهانكم حاضرة، تأملوها وأرووها لمن بعدكم؛ فإن سير العلماء حريٌّ أن يعتنى بها، إنها نبراس للسائرين على دربهم، وضياء للمقتفين لأثرهم.

عباد الله: إن من حق الشيخ عليكم بعد رحيله أن

تدعوا له، وتنشروا علمه، وتعملوا بما سمعتموه منه وعلمكم إياه، أو قرأتموه في كتبه؛ ليكون له أجره، ولا ينقص من أجوركم شيئًا، ادعوا له؛ فإن الله يجيب من دعاه.. اللهم إنا نسألك بأنا نشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، يا حي يا قيوم، يا بديع السماوات والأرض، نسألك أن ترحم شيخنا، وتغفر له، وتسكنه فسيح جناتك، اللهم ارفع درجته في المهديين، وأخلفه في سلفه في الغابرين، وألحقه بمن أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين... بارك الله لي ولكم..

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا كما أمر، أحمده وقد تأذن بالزيادة لمن شكر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولو كره ذلك من أشرك به وكفر، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيد البشر، الشافع المشفع في

المحشر، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه خير صحب ومعشر، وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - واعلموا أن محبة العلماء قربة لله وطاعة، يحبون لكتاب الله الذي حفظوه، يحبون لسنة رسول الله ﷺ التي وعوها، يحبون لدعوتهم لدين الله؛ لحرصهم على عباد الله، لغيرتهم على حرمات الله، لفرحهم بنصر دين الله وإظهار شعائره.

من أحب العلماء حشر معهم؛ فإن المرء يحشر مع من أحب، روى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف ترى في رجل أحب قومًا ولما يلحق بهم؟ قال رسول الله ﷺ «المرء مع من أحب»[١]، حب العلماء يا عباد الله معين على الخير

(١) صحيح مسلم. كتاب البر والصلة. رقم (١٦٥).

والصلاح، من أحب العلماء حرص على مجالستهم، وسمع مواعظهم، فتأثر بها، وعمل بما فيها، فحصل الخير والأجر الكبير، من أحب العلماء دعا لهم وترحم عليهم، وذكرهم بالجميل، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١] إن العلماء سياج منيع للأمة، يحمونها ويحفظونها، فما أحوج أفراد الأمة إلى الالتفاف حولهم، وتقديرهم، والرفع من منزلتهم بين الناس، حتى يوثق بهم ويسمع لقولهم، أما إذا ابتعد الناس عن العلماء، ولم يقدروهم ويسمعوا لهم، فإن الأمة تنهار قواها، ويضعف كيانها، وتفتقر إلى المرجعية في أمورها، فتكون لعبة بأيدي أصحاب الأهواء يسيرونها كما يشاءون، فاحذوروا يا عباد الله أن تكونوا نهبًا لأهل الأهواء ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ

---

(١) سورة الحشر. من الآية: (١٠).

﴿بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾[1] لنجتمع حول العلماء، ولنسمع لهم، لتجتمع الكلمة، وتختفي الفجوات، لعل الله أن يصلح حالنا، وأن يحشرنا مع أهل طاعته، وأن ينزلنا في محل رحمته. . .



(١) سورة القصص. من الآية: (٥٠).

سيرة ذاتية!

لم تكن وفاة الشيخ محمد العثيمين - رحمه الله- فاجعة معتادة، تأسر قلوب فئة خاصة، ذات صلة معينة به، قرابةٍ أو صداقةٍ أو معرفة.. بل كان وقعه عامًّا شاملًا، وصل أوار سعيره إلى قلوب أمةٍ بأسرها، إن الذكر الطيب، والصيت الذائع، علمًا وتقوى وطهارة ودماثة خلق، كفيل بأن يودع في القلوب من المحبة، ما يوثق ويأسر، ودليل هذا جليٌّ ظاهر، يدركه كلٌّ في نفسه وبين عينيه..

وليس يصح في الأفهام شيءٌ
إذا احتاج النهار إلى دليل[١]

ومن نتيجة تغلغل هذا الشعور في النفوس، أن استكتبت المشاعر أقلام أهلها، فترجموا ما اضطرم في الوجدان من معاني المحبة، وحرارة الفقد، وفاءً

---

(١) البيت للمتنبي. ديوانه (٣/ ٢٦٦) (البرقوقي).

وحبًّا، واسترواحًا للأفئدة مما تصلاه من أوار الكتمان. . ولقد فتحت الصحف صدورها وأبوابها. . فأشرقت الصفحات بشرف الموضوع، وسمو المعاني، ونبل الهدف، وإن لم تكتسِ بحُلل السبك، وطرافة الفِكَر. .

أما المطابع فلقد عرفت دورها، فتسابقت خلف الذين ترجموا. . سعيًا وراء الحسنيين ربح الدنيا والآخرة، وكانت أمهاتٍ حانياتٍ حملت أحاسيس المحبين، وآهات الثاكلين، وآثار الفقد الموجعة.

ولم يطل انتظار مواليد المشاعر، فلقد تمخضت المطابع عن جهود جبارة في الجمع والإخراج، والترتيب والتنسيق، وإن كانت تفتقر - في الغالب - إلى مقومات العمل العلمي، من الدقة والضبط، والتحقق من الصحة في المرويات، ومن الاستكناه لما وراء ظواهر الأحداث والمواقف، ومن الاستكشاف القارئ لما بين سطور الرسائل والمؤلفات، ذلك

الفحص الذي يؤدي إلى النتائج المفيدة، التي يصلح أن تقدم مناهج علمية وتربوية، مستقاة من ذلك المعين الثر الجواد..

لقد تغلغل الشيخ في النفوس، حتى اختلط مع النفس فكانا شيئًا واحدًا، ومن آثار ذلك، أن أقحم كثير سيرهم الذاتية وترجموا لأنفسهم، من حيث يشعرون أو لا يشعرون، وهم يكتبون عن الشيخ، حتى لقد بوب بعض منهم أبوابًا لو كتبوا بقلم البحث العلمي، والعقل المتجرد عن سكرة المصيبة، لما خطر على بال أحد منهم كتابتها، فقد كتب الدكتور عبد الله الطيار فصلًا عن صلته الخاصة بالشيخ[١]! وضمن الدكتور ناصر الزهراني مرثيته للشيخ التي صَدَّرَ بها كتابه، إعجاب الشيخ بشعره، وثناءه عليه، قال:

---

(١) صفحات من حياة الفقيد العالم الزاهد الشيخ محمد ابن عثيمين. (كتيب المجلة العربية) العدد ٤٨ الصادر في ذي الحجة ١٤٢١هـ: (٢٣).

أما العثيمين فالأيام حافلة
بذكريات لنا في كل ميدانِ
كانت أوائل أشعاري مغردة
بحبه إذ أتى في أرض زهرانِ
وكان يهوى القوافي حين أنشدها
كما ارتضى المصطفى أشعار حسانِ
إن الكريم الذي أولاه نعمته
بالسير في نهجه الميمون أولاني
ومر دهر ولطف الشيخ يغمرني
وبالمودة ألقاه ويلقاني
كم من ليالٍ قضيناها برفقته
في دوحة من مسراتٍ وسلوانِ[١]

وضمن كتابه بابًا أسماه «مواقف مع الشيخ»[٢] أورد

(١) ابن عثيمين الإمام الزاهد: (١٦).
(٢) ص: (١٨٣ - ١٩٦).

فيه عددًا من قصائده، أما الشيخ عبد الكريم المقرن فقد عنون كتابه عن الشيخ بـ(١٤ عامًا مع سماحة العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين مواقف وذكريات)! أما الأستاذ وليد الحسين فقد ضمن افتتاحية كتابه هذه الجمل: «هذا هو شيخنا، لازمته وصاحبته في أسفار كثيرة، وفي المجالس الخاصة والعامة، وأوكل إليَّ كثيرًا من الأعمال العلمية والدعوية والخيرية وغيرها، لم يكن مجرد أستاذ أنهل من فيض علمه فحسب، بل كان لي بمنزلة الأب الرحيم على أبنائه، والمربي الحكيم بكل ما تحمله الكلمة من معاني التربية..»(١)! . ومثل هذا في المقالات المنشورة كثير جدًّا، قال الشيخ إبراهيم الجطيلي: «عاصرته منذ أكثر من خمس وأربعين سنة، وكان عمري حينها اثني عشر عامًا، ودرست على يده أكثر من عشرين سنة، فكان

(١) الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين: (٨).

الموجه والمعلم والإمام والخطيب.. والأسوة الحسنة.. صليت عنده إمامًا وخطيبًا في الجمع والأعياد، في جامع عنيزة، في التسعينات الهجرية، ودرست على يده في الصباح والمساء، وقد عقدنا معه جلسة علمية منذ عام ١٣٩٢هـ، حتى عام ١٤٢١هـ، أي استمرت أكثر من ثلاثين عامًا، ملئت حزمًا وعلمًا وفقهًا وتوجيهًا»[١]. وعنون الشيخ عبد الرحمن النهابي مقاله عن الشيخ بـ(مآثر وذكريات مع والدنا العلامة ابن عثيمين)[٢]، كما طالعنا فضيلة الشيخ أحمد بن عبد العزيز بن باز بمقاله المعنون له بـ(مدرسة في البحث والاستنتاج)[٣] لكنه قصره على فكرة واحدة كررها، وهي علاقة الشيخ بوالده العلامة عبد العزيز بن باز رحمهما الله، كما حمد فضيلة الشيخ الدكتور

(١) ابن عثيمين الإمام الزاهد: (٤١٧).
(٢) ابن عثيمين الإمام الزاهد: (٦٦٦).
(٣) المصدر السابق: (٢٧٢).

أسامة خياط اللهَ تعالى إذ أكرمه بصلاة الشيخ خلفه؛ إذ كان في ذلك من الإفادات والتوجيهات في الإمامة والخطابة ما لا منتهى »[١].

ولا أجد لهذه الذاتية تفسيرًا إلا ما قدمتُ، من أن حب الشيخ تغلغل في النفوس، فاختلط بالذات، فكان إذا كتب الواحد عن الشيخ فكأنما كتب عن نفسه، وإذا كتب عن نفسه فكأنما كتب عن الشيخ!!

ولقد أحسن بعض الكتاب استخدام تلك الذاتية، فاستخلص منها واستكشف، وتوصل إلى نتائج جيدة، كما تضمنت بعض المواقف فوائد جليلة، وطرائف نادرة.



(١) ابن عثيمين الإمام الزاهد: (٤٥٨).

مع الشعر

كانت وفاة شيخنا محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى، حدثًا جللًا، حدثًا أثار في النفس ما أثار، وأشجى المهج بروائع سالت بها أقلام الثكلى، لقد كان الشعر متنفس النفوس، تُحَمِّله زفراتها وبسماتها، وتودعه عُصارة تجاربها، ونِتاج أفكارها ورؤاها، ولو تأملت في الشعر لوجدت التجارب النفسية تتكرر بتكرر الحدث، وتعاد الأفكار بصورٍ أخرى حسب ما يحيط بها من ظروف الشاعر وملكاته..

لقد كان الشعر من أول من أشجاني وأذرف دمعي بعد وفاة شيخنا، وذلك بعد أن صلينا عليه في الحرم المكي، وخرجت الجموع الغفيرة إلى المقبرة، أفواجًا ووحدانًا، لقد اضطرم الطريق ضجة، وازدحم سياراتٍ وبشرًا، لقد رأيت في الطريق ما لم ترَ قط عيني، وأدركت عيانًا صورةً لما كتب للشيخ من قبول، في هذه الأجواء، وأنا أرى هذه الأمم التي أجزم أن

بعضهم لم يعاشر الشيخ ولم يجالسه، بل ربما كانت علاقته بما سمعه من دروسه وفتاواه عبر وسائل الاتصال، تساءلت.. كيف - والحالة هذه - تجد هذا الحزن العميق، والتأثر الموغل؟ فكيف بمن كان له أقرب.. في هذه الأثناء تذكرت قول البارودي:

وشتّان مَن يبكي على غيرِ عِرفةٍ
جِزافًا ومن يبكي لدهرٍ تجرَّما[1]

وكان تذكري لهذا البيت يزيد الألم ألمًا..

وبعد ذلك.. كانت المراثي تقوم بالدور نفسه، من إثارة الأشجان، وبعث الذكرى، وإن بعضها ليصور ما في نفسي وكأني أنا القائل، وأنا الآن أقف عند بعض الأبيات، وأكتب تعليقات يسيرة، تحمل بعضًا من خلجات النفس، أو استطرافًا لفكرة، أو استجادة لمعنى أو صورة..

---

(١) البيت للبارودي. في ديوانه (٣/ ٤٠٠).

(١) لا زلتَ حيًّا

كالحلم موتك لم نفق من هوله
فلقد غشانا منه ما غَشَّاكا

خلت الديار وأقفرت برحيلكم
عجبًا لكأس الموت كيف سقاكا؟

ما زلت أشعر كل خطبة جمعةٍ
أني إذا رُفع الأذان أراكا[١]

لما توفي النبي ﷺ، عظم الأمر على الصحابة، حتى أنكر بعضهم وفاته، ولقد شُهِدَ لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه موقف مأثور، إذ قال: «إن رجالًا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي، وإن رسول الله ﷺ ما مات..»[٢].

---

(١) الأبيات من قصيدة الأستاذ: إبراهيم بن محمد المشاري. ابن عثيمين الإمام الزاهد: (٧٨٢).
(٢) السيرة النبوية (٢/ ٦٥٥).

وما كان ذلك إلا لهول الموقف، ولأنهم لم يتيحوا لأذهانهم أن تتصور موته، لشدة ما يجدون من وقع ذلك، وفي ذلك يقول حافظ إبراهيم:

باتَ النبي مسجىً في حظيرته
وأنت مستعر الأحشاء داميها

تهيم بين عجيج الناس في دهش
من نبأة قد سرى في الأرض ساريها

تصيح: من قال: نفس المصطفى قبضت
علوت هامته بالسيف أبريها

أنساك حبك طه أنه بشر
يُجري عليه شؤون الكون مجريها

وأنه وارد لا بد مورده
من المنية لا يعفيه ساقيها[1]

ويكشف أحمد شوقي عما خلعته المحن على

(١) ديوان حافظ إبراهيم (١/ ٨١).

الفاروق، وما قادته إليه..

وحدن بالراشد الفاروق عن رشدٍ
في الموت وهو يقين غير منبهمِ
يجادلُ القوم مستلًّا مهنده
في أعظم الرسل قدرًا كيف لم يدُمِ؟
لا تعذلوه إذا طاف الذهول به
مات الحبيب فضل الصب عن رغمِ[١]

ولقد داخل كثيرًا منا بعد وفاة الشيخ رحمه الله نحوٌ من هذا الإحساس، إذ كان الواحد من قبلُ لا يدع لهواجسه ميدانًا فسيحًا، لتتصور موت الشيخ، وما يكون بعده، حتى إن الناس لم يكونوا يسوغون لأنفسهم أن يتحدثوا بخليفة الشيخ، في إمامةِ الجامع والخطابة فيه، ومن جرأ على ذلك، شفع حديثه بالدعوات الضارعة، بطول العمر للشيخ، والإمتاع

(١) الشوقيات (١/ ٢٠٧).

بالصحة والعافية، والثبات على الحق..

فلما وقع قضاء الله تعالى، ونزلت المصيبة، ذُهل الناس، وسرى فيهم من الحزن والغم ما الله وحده أعلم بمقداره.

ووجدت الذكرى في الخيال مدىً فسيحًا، فعبثت بالمشاعر، وأذكت جذوات الحب، وآلام الفرقة، وقد امتدت في عملها المتواصل دهرًا طويلًا بعد وفاة الشيخ، ولا زالت تعمل غير جاهدة ولا مالَّةٍ، فكانت كل زاوية تذكر بالشيخ، تبعثُ في النفس من نفح الذكرى ما تبعث، ويَغرق العقل في حُميَّا الذكريات، حتى يتصور أن الشيخ لم يمت، فإذا رفع «الرَّيسُ»(١) الأذان الثاني يوم الجمعة، انتظرنا الشيخ يفتتح

---

(١) الريِّس: اسم للمؤذن، ثم صار اسمًا لعائلة بعينها، وهي من آل فيَّاض، توارثوا المئذنة في الجامع الكبير بعنيزة من عام ١٢٠٠هـ تقريبًا إلى اليوم. علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٢٦٢).

الخطبة..

ما زلت أذكر كل خطبة جمعةٍ
أني إذا رفع الأذان أراكا
ويكاد يرديني ويقتلني الأسى
إن رمتُ.. ثم يئستُ من لقياكا

ومثل هذا تردد كثيرًا في قصائد الراثين، استجابة لصدى النفوس الهائمة في الخيال، الموتورة بالفراق، حتى كاد بعضهم يقسم على ما أوهمه به حبه..

إني أعزي النفس أنك لم تمت
وأكاد من فرط المشاعر أقسمُ[1]

وبهذه الفكرة افتتحتُ إحدى المرثيات:

لا زال صوتُك صادعًا بجلاءٍ
ونميرُ علمِك ساقيًا لظماءِ

---

(١) من قصيدة للشاعر علي بن حسن الحارثي. الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين: (٤٤١).

وشــعــاءُ فــتــواك الــمــنــوِّر مــشــرقٌ
فــي كــل نــاحــيــة مــن الأنــحــاءِ
لا زلت في فلك الفضيلة ساطعًا
كالنجم يهدي في دجى الظلماء
لا زلــت تــمــنــح مــن نــداك مُــظــلِّلًا
مُــتَــفَــيِّــئــيــك أوارف الأفــيــاء
نــبــضــات قــلــبِــك لــم تــقــف وبــنــانُــكــم
لــم تــنــعــكــفْ عــجــزًا عــن الإمــضــاءِ
لا زلــت حــيًّــا واهــبًــا جِــيــدَ الــدُّنــا
عــلــمًــا يَــلُــفُّ مُــعــطــلًا بــبــهــاءِ
إن غبت عن بصر الزمان فلم تغب
عــن أصــغــريــه وقِــمَّــة الــجــوزاءِ

❊ ❊ ❊

(٢) وفاة الباز

لقد توفي سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالى- قبل شيخنا بسنة وثمانية أشهر وثمانية عشر يومًا، وهما رضيعا لبان واحد، وقرينان في الفضل والعلم والمهابة والزهد والتقوى والإخلاص، والقوة في الحق، والصبر على الشدائد، والتوسع المنضبط في الاجتهاد، ومحاربة البدع والأهواء، إلى غير ذلك مما أجتمعا فيه، وقد أدرك هذا الاقتران والتطابق في المنهج علماء الأمة وعامتها، فلا يذكر أحدهما إلا مع الآخر، ولما سأل سائق سيارة الأجرة الشيخ رحمه الله عن اسمه قال: محمد العثيمين، ومن الأخ؟ قال: عبد العزيز بن باز![1].

---

(١) هذه القصة كنت أظنها من نسج الوضاعين، الذين يعمرون المجالس بمثل هذه الطرف المكذوبة، ثم تبينت بعد ذلك أنها صحيحة، ممن نقل عنه رحمه الله.

وكان لقرب وفاتيهما أكبر الأثر في نفوس الناس؛ لأن الشيخ كان عزاءهم بعد ابن باز، فمن يكون عزاؤهم بعده؟

عامانِ أبكي على شيخي وأندبه
واليوم أفجع في محبوبي الثاني
ما أعظم الخطب ما أدهى مصيبتنا
فالأرض تندب إذ ولى الإمامان
ودولة العلم تشكو من تهدمها
وبؤسها بعد أن مات الرئيسانِ
يا رب رحماك من أمر يراد بنا
ما للأئمة في موت ونقصان

بهذا التعبير الرائع جاد الدكتور ناصر الزهراني[1]، أما الدكتور حبيب المطيري فقال:

أواه يا شيخاه يا علم الهدى
يا طاهر الأهواء والنزعات

---

(١) ابن عثيمين الإمام الزاهد: (١٥).

لما فقدنا الباز كنت عزاءنا
وملاذنا في حالك الظلماتِ
.. والآن غبت فمن تراه يدلنا
في مهمهٍ قد تاه بالأشتاتِ
كنا نقول إذا ادلهم طريقنا
واحتاجت الأحداث للأثباتِ
هذا العثيمين الإمام دليلنا
بعد ابن باز يبلغ الغايات[١]

ويحدد الشاعر خالد الدويغري المدة بين الفراقين:
ولقد فجعنا بابن باز قبله
إن المصائب خرقها لا يرقع
سنة وتسعة أشهر معدودة
طُنُبان من أطنابها تتقلعُ[٢]

(١) ابن عثيمين الإمام الزاهد: (٧٩٥).
(٢) الجامع: (٢٨٥).

وقد تجلت هذه الفكرة في إبداعات كثير من الشعراء.

وكما اقتربت الوفاتان زمنًا، تطابقتا مكانًا، فقد توفي الشيخ عبد العزيز في الطائف، وشيخنا بجدة، وصلي عليهما في الحرم المكي، ودفنا بمقبرة العدل، وكان القبران في جهة واحدة

لئن أودعوك اليوم في طيب الثرى
لقد علموا من في ثرى الطيب ودعوا
وجاورت قبر الباز حبًّا وصحبةً
عسى أن يُرى في جنة الخلد مجمع(١)



(١) من قصيدة الشاعر: صالح بن علي العمري. الجامع: (٣٣٥).

(٣) وفي غمرة السكرات تفتي وتنفع

لقد رأى الناس في حياة شيخنا رحمه الله عبرًا عظمى، ومقاماتٍ عُلا، من الصبر والجلد، والمثابرة على العمل، والأمانة والإخلاص، وكان منها صبره وتجلده أثناء مرضه الأخير، الذي أكد الأطباء أنَّ فيه من الألم ما لو كان في غيره لما صبر، إنَّ الأمة بأسرها رأت من جلده على المرض ما بهر أعين المبصرين، واستنبت إعجاب المتفكرين..

إن دروس الحرم المكي في رمضان عام ١٤٢١هـ لم تقتصر فائدتها على ما أملى فيها -رحمه الله- من فوائده المعتادة، بل إنها ذاتها دروس عظيمة، دروس في الصبر، دروس في الجلد، دروس في عدم الشكوى، دروس في استغلال الوقت، دروس في تأدية أمانة العلم..

لقد كان من عادته -رحمه الله- السفر إلى مكة

وإلقاء الدروس، فلقد استمر على ذلك تسعة عشر عامًا، ولم يرضَ التنازل عن هذه العادة ولو في أشق حال:

وتاق إلى خير الجوارِ وعادةٍ
إذا هلَّ من عشرٍ ضياءٌ مشعشعُ
وألقى دروسًا عامراتٍ زكيةً
وأفتى ونور الحق كالبدر يلمعُ
يقاوم آمالًا ويكبت زفرةً
ويبذل في صبر ولا يتضعضعُ
ويمشي وجيش من أطباءَ حوله
ليبصرَ قومٌ ما يقولُ ويسمعوا[1]

إن ذلك الموقف المشهود، استثار العجب، واستحث الهمم، وأوثق عرى المحبة التي مدتها

---

(١) من قصيدة الشاعر د. سعد بن عطية الغامدي.
الجامع: (٣٠٧).

الخصال الحميدة بين الشيخ والناس، إن القلوب الحية، إذا رأت علائم الإخلاص، وأمارات التقوى، انثنت خاضعة محبة مبجلة..

وقفت بشهر الصوم طودًا على الضنى
تبَشُّ فلا تشكو ولا تتوجع
بلاء لو استعلى على رأس شاهقٍ
لخر من البلوى طريحًا يصدع
بُليت وفي البلوى ظهور ورفعة
وفي غمرة السكرات تفتي وتنفعُ(١)

لقد ازداد عليه المرض يوم التاسع والعشرين، واضطرب التنفس، فقرر الأطباء المرافقون ضرورة نقله إلى المستشفى بجدة، فنقل إليه، وتحسنت حالته قبيل المغرب، فأصر على العودة إلى مكة، فحاولوا ثنيه،

---

(١) من قصيدة الشاعر: صالح بن علي العمري. الجامع: (٣٣٥).

فلم ينثنِ، فنزلوا عند رغبته، ووصلوا باب الحرم، والإمام يصلي العشاء، فنقل إلى مكانه المعد، محمولًا على السرير، فلما أخذ مكانه، صلى المغرب والعشاء، ثم بدأ الدرس مباشرة بعد أن قُضيت صلاة التراويح، وكانت الأجهزة مركبة على جسده.. وكان هذا آخر درس في حياته رحمه الله تعالى..

تراه فوق سرير الموت محتسبًا
وصابرًا ما شكى همًّا لإنسانِ[1]

تجلدت لم يفزعك سهم بليَّةٍ
وكنت على مر المصيبة تصبر

ظللت تغيث الناس فُتيا وحكمةً
وفي الجسم نار الداء تصلى وتصهر

لقد أوحى إصراره رحمه الله على السفر إلى مكة،

---

(١) من قصيدة الشاعر: صالح بن جمعان الزهراني. الجامع: (٣٣٨).

وإلقاء الدروس، والبقاء في الحرم، بإشارات خاصة، أدركها من أدركها، فألقت في نفسه ما صاغه بيانًا منظومًا..

يممت وجهك للبيت الحرام وفي
عينيك أسرار تسليمٍ وإذعانِ
أتى بك القلب.. قلبٌ كله أمل
في فضل رب عظيم اللطف رحمن
تودع الكون بالعلم الزلال إلى
أن جاء مرسول مولانا بإيذانِ[1]



(١) من قصيدة الدكتور ناصر الزهراني. ابن عثيمين الإمام الزاهد: (٢٠).

(٤) مشهد الوداع

إمامَ هذا الهدى الأحباب ما برحوا
في موكب الحب.. سدوا للقا الأفقا
كأنهم في انتظار الدرس.. قد وقفوا
وأن شيخهم في إثرهم طفقا
وأن كرسيه لا زال مزدهرًا
بعلمه.. ما اشتكى عيًّا ولا رهقا
وأنه سوف يأتي كالندى سحرًا
يباشر الصبح للمحراب معتنقا(١)

صور الشاعر أحمد الصالح موقف الناس عند التوديع هذا التصوير البديع، الباعث للأشجان، إنه يستذكر في ذلك الإقبال العظيم، واللهف المستعر، لحمله والمشي خلفه وقت تشييعه والصلاة عليه،

(١) من رائعة الشاعر: أحمد بن صالح الصالح. الجامع: (٢٥٣).

الإقبالَ على دروسه، والتحلق حوله في الدرس، يجمع بين الموقفين، شوق يسوقهم، وحب يوثقهم، وهيبة العلم التي ترفع من شاء الله له العز والرفعة..

إنه شوق إلى اللقاء، ولكن هذا اللقاء لم يكن كأي لقاء.. إنهم بعد أن أغدق عليهم حتى استبانوا درب الهدى، واعتلوا، حتى رأوا طالع الحق، ودعهم وداعًا أورث في نفوسهم آيات الانكسار، وفي وجوههم بؤس اليتم المذل...

حتى إذا ما اجتلوا درب الهدى رغبًا
واستشرفوا طالعًا بالحق مؤتلقا

ودعتهم يا حبيبًا كان يؤنسهم
وكان برًّا حفيًّا صيبًا غدقا

فأجفلوا كاليتامى حين ودعهم
من طاب سيرته واستكمل الخلقا[1]

---

(١) السابقة.

وكان في جنازة الشيخ معانٍ جليلة، فطن لها الشعراء، وكانت مذكية لقرائحهم، إن ذلك الجمع الكبير برهن بما لا يدع للشك مدخلًا على صدق الشيخ وإخلاصه، إن الجنائز كانت شاهدًا موثوقًا، وقاضيًا أمينًا عند الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله- إذ قال لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز.

ويوم دنا التوديع سالت بمكةٍ
بطاح بأمواجٍ من الحب تهدُرُ
حملناك فالأكتاف نشوى بقربكم
وأما شغاف القلب فهي تحسرُ

نصف مليون من المسلمين صلوا عليه، جاءوا قاصدين الصلاة عليه من كل جهة. . نصف مليون من المسلمين ساروا خلفه لتشييعه، فملئوا صحن المطاف، وساحات الحرم المحيطة به، والطرق المؤدية إلى مقبرة العدل. . نصف مليون مسلم دعوا له، وبكوا عليه، ومشوا لتشييعه، تعلو وجوههم

الكآبة، والحزن، والخوف من المستقبل . .

جند أكثر من ألف وخمسمائة جندي لضبط مسيرة الجنازة، ونظم الناس مئات ضباط الشرطة والقوات الخاصة . .

بالله يا مكة الغراءَ ماذا جرى
يوم الوداع . أذابت حولكِ المقلُ؟[1]



(١) من قصيدة الشاعر الأستاذ: زكي الحريول. الجامع: (٢٩٤).

(٥) الأرامل بعد الشيخ

كتب الدكتور حسن الهويمل في مقاله «العظماء يولدون بموتهم»[١]: «توفي أحد جيرانه قبل أسبوع من وفاته، فهاتف أولاده من المستشفى في جدة معزيًا ومواسيًا وداعيًا وناصحًا لهم، وقال لهم بالحرف الواحد: أنا مريض، ولا أعلم ما يكتب الله لي، فاستوصوا بوالدتكم وإخوانكم الصغار خيرًا.

وقالت تلك الأم المفجوعة بزوجها: إن ألمنا بوفاته - تعني الشيخ رحمه الله- لا يقل عن ألمنا بوفاة عائلنا».

لقد قرأت هذه القصة فيما كتبه الدكتور، ثم سمعتها بعد ذلك عن تلك الأم المفجوعة؛ فإن الحي يجمعنا.

لم يكن الشيخ رحمه الله يستقبل أحدًا بعد أن سافر إلى مكة، ولم يكن يرد على الاتصالات بعد أن نُوِّم

---

(١) ابن عثيمين الإمام الزاهد: (٤٩٦).

في جدة، لكنه اتصل هو نفسه معزيًا لجيرانه، قبل وفاته بأسبوع فقط، إنه معنى من معاني الإحسان.. إنه شعبة من تنفيذ الوصية بالجار.

قد كنت عون اليتامى بعد ربهمُ
يمناك عن أختها في الجود تستترُ[1]

إن هذه الحادثة ترددت في نفسي، واضطربت في الوجدان، فلم تطق حبسًا، ولم ترض إلا أن تصيب من النظم حظًّا..

بكتك بأطراف الشُّرَيمية التي
بررت.. نساءٌ أيماتٌ وقُصَّرُ

لقد بر هذا الحي بمبراتٍ ثرة، بر أهله بالإحسان إليهم، وحسن الجوار لهم، وقبول دعواتهم على كثرة مشاغله، كما بر الحي بتشريفه له بأن أقام به أكثر من ثلاثين عامًا..

(١) من قصيدة الشاعرة: لمياء العقيل. الجامع: (٤٦٧).

الـشـــارع الــمــهــجــور بــدل ظــلــمــةً
بــالــنــور حــيــن خــطــت بــه قــدمــاكــا
والـــيـــوم بـــدل نـــوره ونـــهـــاره
لــيــلًا عــبــوسًــا فــاقــدًا مــســراكــا[١]



(١) من قصيدة الشاعر إبراهيم المشاري الآنفة الذكر.

(٦) الفراق وآلام الأمة

كل مسلم يشتكي حال أمته المرير، تلك الأمة التي تملك مفاتح العز والنصر، وعُدد التمكين في الأرض، وعتاد الغلبة والرفعة، ولكنها رضيت من الدنيا بألوان الدون، وصنوف الانهزامية، وركنت ساسة ومسوسين إلى حطام الدنيا، كل يلقي اللوم على الآخر، والجميع قد نسي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(١)، نسوها، فلم تحفظها صدورهم، وإن حفظتها الصدور، عميت عنها الأفعال، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي هذه الحال المرة، يفقد العلماء، الذين هم الركن الباقي، الذي تعلق عليه الطموحات، وترتقب الآمال من خلفه.

لما توفي الشيخ، اعترى الناس من الخوف من

(١) سورة الرعد. من الآية: (١١).

المستقبل، والخوف على الأمة، مثل ما اعتراهم من الحزن عليه، والأسف على فقده، ولذا جاءت المراثي محملة بهموم الأمة بعد فقد علمائها..

حبيبنا.. أمة الإسلام مثخنة
وكلما التام جرح آخرُ انفتقا
ألقى اليهود إليها كل حقدهمُ
والغرب سن لها من كيده طُرُقا
واثَّاقلت عن جهاد النفس واتخذت
درب الهوى مسلكًا والغي مرتفقا
ترجلت عن ظهور الخيل من زمن
فجئت في ليلها تستدرك الرَّمَقا(١)

وبنظرة فاحصة، وتأمل من متذكر، يكون موت العلماء سببًا لضياع الهوية الثقافية، واستلاب المكانة،

(١) من قصيدة الشاعر: أحمد الصالح. الآنفة الذكر.

ويكون مجرأةً لكل غاشم. .

يا ابن العثيمين ما مات الذي بقيت
أفعاله تهزم الأسقام والوصبا
أرثيك لا، إنما أرثي ثقافتنا
ثقافة رغم مجد نجمها غربا
ثقافة كانت العلياء ديدنها
وأصبحت تشرب الأوهام والطربا
أرثيك لا، إنما أرثي مكانتنا
في عالم خاتَلَ الأقمارَ والشهبا
أبكيك لا، إنما أبكي سلامتنا
من غاشم في ربانا يزرع العطبا
تموت في أحلك الأوقات يا علمًا
لم يعرف الوهن بل نحو العلا وثبا
تموت والقهر يسري في هياكلنا
وأحقر الناس شأنًا ينهر العربا

تموت والحيف لا يبقي على أحد
منا وأطرافنا لا تعرف الغضبا
كيف السبيل إلى مدح شقيت به؟
وكيف أزهو بمن يزهو إذا غلبا؟
ويبتغي العز ممن حاك محنته
ويحسب النصر كلَّ النصر أن شجبا[١]

وفي حياة الشيخ رحمه الله ظهر اهتمامه بقضايا الأمة في صور شتى، دعم مادي وعلمي، ونصح وإرشاد لمن عليهم جانب من المسؤولية، كبروا أم صغروا، لقد كان متابعًا في خطبه ودروسه ومجالسه لكل ما يحدث، وكان ناقدًا بصيرًا، سؤولًا عما يشكل، محاولًا تبين ما وراء الأكمات، وكان مرجعًا عند حدوث النوازل، أدرك هذا الجميع، ولذا رأوا في

---

(١) من قصيدة الشاعر د. ظافر القرني. الجامع: (٣٤٧).

وفاته خسارة كبيرة، وردمًا انهدم، فلا يؤمن بعده عدو، إذ لا مفزع، ولا ملتجأ إلا الله تعالى، وهو حسبنا.



(٧) عنيزة والفراق

ولد الشيخ رحمه الله في عنيزة، وعاش كل حياته فيها، سوى سنتين دراسيتين، رحل فيهما إلى الرياض، لما افتتح المعهد العلمي فيها.

ولم يرتضِ إقامةً في بلدٍ سواها، على كثرة ما عُرِضَ عليه، فقد دعاه إلى الرياض سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز مرارًا متكررة، كما دعاه فضيلة الشيخ سليمان بن عبيد، إلى مكة المكرمة، ليكون مدرسًا في الحرم المكي.

وظل في بلدته بين بيته في الهُفُّوف فالخريزة فالجعيفري فالشريمية[1]، ومسجده، الجامع الكبير،

---

(١) في الهفُّوف من ولادته حتى عام ١٣٨٤هـ، والخريزة من ٨٤هـ حتى ٨٦هـ، والجعيفري من ٨٦حتى ١٤٠٩هـ والشريمية من تلك السنة حتى وفاته رحمه الله.

وكسبت عنيزة به من الشرف والمكانة ما لم تكتسبه مِن أحد غيره، بعد شيخه عبد الرحمن السعدي رحمهما الله، لقد هيأ لها وجوده فيها، بل للقصيم كله، ذكرًا طيبًا، وصيتًا ذائعًا، مقترنًا بالعلم والفضل، حتى إذا ذكر ابن عثيمين ذكرت عنيزة، وإذا ذكرت ذكر، ولئن كان أهل عنيزة من قبل يفتخرون بمكانة بلدتهم التجارية والثقافية في نجد والقصيم، فلقد اكتفوا حقبة من الزمن يفتخرون بالمكانة العلمية والدينية، وحسبها لهم فخرًا وعزًّا.

لقد كان الشيخ في نفوسهم والدًا مقدرًا معظمًا محترمًا، إذا غاب عن البلدة وقتًا يسيرًا تاقت النفوس إليه، و بدا التساؤل بين الناس.. هل جاء الشيخ؟ متى يأتي؟ هل سيخطب الجمعة التالية؟ هل سيصلي العيد؟.

وكان سفره للعلاج بحد ذاته وقعًا مقلقًا، وباعثًا للهم، وساقيًا لآلام الارتقاب والخوف..

كم في عنيزة للتسهيد من مقل
عليكم حين حلَّ البعد والسفر[(١)]

أما الوفاة فلم تكتف المقل بعدها بالسهاد، بل غرقت من الدموع الدامية، والقلوب منكسرة واهية..

كأن قصيم العلم يوم وفاته
نهار أغيرت منه شمس فأليلا[(٢)]

ولم يعسر على الشعراء إدراك هذا، أو يتوار عن أنظارهم، بل وجدوا عنيزة بفقد الشيخ من أحق من عزي، ومن أعظم من تأثر حزنًا وألمًا، فكثر تكرار هذه الفكرة في قصائدهم، كثرة تؤذن بعمق إدراكهم لها، وبوضوح صورتها لديهم.

---

(١) من أبيات للشاعر الأستاذ إبراهيم بن عبد العزيز الفوزان. قالها حين سافر الشيخ رحمه الله إلى أمريكا. الجامع: (٢٢٧).

(٢) من قصيدة الشاعر: خلف بن راشد النيادي. الجامع: (٢٨٨).

وأجهشت أعين الفيحاء باكيةً
إمامها.. وحبيبًا عالمًا صدقا
تحاملت فوق هذا الحزن تخزنه
بين الضلوع وأصلاها النوى حرقا
قد أوحش الدور فالأحياء مطرقةٌ
بأي حادثة هذا المسا طرقا
وأيها خبر غص الأثير به
فأثكل الناس والداراتِ والطرقا
في كل عين حكايات تخبئها
وفي الشفاه حديث بالأسى شرقا[1]

لم يبق في عنيزة بعده إلا الأيتام والثكالى، فإن أردن الحداد.. فما تُرى مقداره؟

عنيزة بعدكم يتمٌ.. وثُكلٌ
وبالأحزان بركانٌ يثورُ

(١) من قصيدة الشاعر أحمد الصالح.

عـنـيـزة إن تـجِـدَّ فـليـت شـعـري
أتـكـفـي لـلعـثـيـمـيـن الـدهـور؟[١]

ولم يكن من مكافأة لما حباها به من العلم والفضل والذكر الطيب، ولا رد لذلك الجميل الخالد، إلا الدعاء.. الزاد الأوحد الذي ينفع بعد الموت..

حبيبنا.. طبت في أم القرى جدثًا
وطاب ذكرك في كل الدنا عبَقا

وطبت غيثًا به الفيحاء مخصبة
أحيا موات النهى واستنبت الورَقا

إليك من حبها ما أنت تعرفه
ومن تضرعها ألَّا تذوق شقا[٢]



(١) من قصيدة الشاعر: حسن بن أحمد الزهراني.
الجامع: (٢٦٩).
(٢) من قصيدة الشاعر أحمد الصالح الآنفة الذكر.

براعة في الكتابة

يدرك من قرأ كتب الشيخ رحمه الله التي كتبها بيده - دون التي أملاها - براعةً جلية، ودقة بالغة، ولا تجد فيها إلا أسلوبًا متميزًا، سهولة في الألفاظ، وتناسبًا بين الجمل، واسترسالًا عذبًا في الموضوع، مع وضوح الفكرة، ونصاعة العبارة. كما أنها موثقة النقول، مرتبة الأفكار، خاليةً من التكرار، مقسمةً ومبوبة على نسق مطرد بالغ في الضبط غايته.

وأريد أن أنقل هنا نصًّا رائعًا، أقدمه مثالًا على تلك البراعة، وقد اخترته دون ما سواه؛ لأنه غير منشور، ولما له من مناسبة، ولما أودع فيه رحمه الله، من أهمية كبيرة.



كلمته رحمه الله

في الحفل الذي أقامه أهالي عنيزة بمناسبة زيارة جلالة الملك خالد بن عبد العزيز إلى منطقة القصيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، من يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، ثم خلفه من بعده خلفاؤه الراشدون، الذين مشوا على شريعته، على منهاج سنته، وقاموا بما قاموا به في هذه الأمة الإسلامية، من عدل ورعاية، أثمرت ثمارُها، حتى بلغت مشارق الأرض ومغاربها، وتحقق بذلك ما رآه النبي ﷺ، أنه زويت له الأرض، حتى رأى مشارقها ومغاربها، وأن أمته سيبلغ ملكها ما زوي له منها.

جلالة الملك المعظم، سمو ولي العهد، سمو النائب الثاني ورئيس الحرس الوطني، سمو الأمراء، أصحاب المعالي، وفقهم الله جميعًا لما فيه الخير والسعادة، إنني أقف الآن أمامكم لأعبر عما يكنه أهل هذه المنطقة من محبة وولاء لهذه الحكومة الموفقة، التي يرجون لها دائمًا الصلاح والإصلاح للأمة في معاشها ومعادها، وإنني أقول: إن الله سبحانه وتعالى قد مكن لكم أيها الأسرة المباركة في الأرض، وإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج].

صاحب الجلالة! هذه الآية الكريمة، ليست خبرًا عن وكالة من وكالات الأنباء، يلحقها الكذب أو التحريف، ولكنها خبر من الله سبحانه، الصادق في وعده، القادر على تنفيذه، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ خبر مؤكد بثلاثة مؤكدات لفظية، وبجملة تؤكده تأكيدًا معنويًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ لينصرن الله من

ينصره.. ومن الذين ينصرون الله؟

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أقاموها بأنفسهم، وبمن استرعاهم الله عليه ﴿وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أعطوها لمستحقها، ولست الآن بصدد بيان ما يجب في الأموال من زكاة، ولا بصدد بيان من تصرف له، لأن هذا أمر معلوم لديكم، ولكنني أقول: ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ .

صاحب الجلالة! ﴿وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ ، فما هو هذا المعروف الذي يأمرون به؟ وما هو هذا المنكر الذي ينهون عنه؟

إن المعروف الذي يأمرون به، كل ما عرفه الشرع وأقرَّه، من عباداتٍ لله عز وجل، والمنكر كل ما أنكره الشرع، وكل ما نهى عنه من معاصي الله عز وجل، وتأملوا قول الله عز وجل ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ كيف ختم هذه الآية الكريمة بما لعل قائلًا يقول: كيف

ننتصر على أعدائنا وهم أكثر منا عددًا، وأقوى عدة، وأشد منا مكرًا وخديعة؟ نقول: نعم، ننتصر عليهم إذا قمنا بأسباب النصر ؛ لأن لله عاقبة الأمور، وبيده جميع الأمور، له مقاليد السماوات والأرض.

صاحب الجلالة! إنني أذكر لكم مثلًا يقوله المؤرخون: حينما كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، القائد المظفر، كان يقود جنود الرحمن، ليستولي على أعداء الرحمن، كان يقودها في المشرق في الفرس، ويفتح بلادهم بلدًا بلدًا، فلما أن وصل إلى الفرات، وهي تقذف بزبدها، توقف سعد رضي الله عنه، ونادى سلمان الفارسي، وقال: أعطنا مما يفعله الفرس مما يمكن أن نتقوى به، فقال له: يا سعد! دعني أنظر في الجيش، فإن كانوا على سنة الرسول ﷺ، وعلى ما ينبغي منهم، فسوف يكون النصر لنا، دعني وأمهلني ثلاثة أيام، فلما أمهله ونظر في الجيش، وجد جنودًا في الليل يقومون، وفي النهار يجاهدون، فرجع إليه بعد ثلاث فقال: رأيت القوم على ما يرام يا

سعد، فامض بهم بإذن الله، فقال سعد لجنده: إني مكبر ثلاثًا، وإني عابر النهر، فلما كبر ثلاثًا وعبروا النهر ورآهم الفرس، قال بعضهم لبعض: إنكم لستم تقاتلون إنسًا وإنما تقاتلون جنًّا. ثم سلموا لهم المدائن، ثم حُمل تاج كسرى إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، ولم يفقد منه شيء حتى قال: إن قومًا أدوا هذا لأمناء.

صاحب الجلالة! إن من أصلح ما بينه وبين الله أصلح ما بينه وبين الناس، وإن من ذل لله عز وجل أذل له الناس، وإن من اتقى الله عز وجل اتقاه الناس، وإن من خاف الله خافه الناس، وإن من ضيع أمر الله ضيعه الله عز وجل.

صاحب الجلالة! إن لنا أملًا كبيرًا في أن يقر الله تعالى أعين شعبكم بكم، بما تبذلونه لهم من إصلاح وإرشاد، ومن تدعيم لكل ما يسعد الأمة في دينها ودنياها، ولقد سرنا ما سمعنا قبل أيام من أن جلالتكم

تدعمون هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعمًا غير مقيد، هذا مما سرنا كثيرًا ؛ لأن بهذا الأمر وحده، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فُضِّلت هذه الأمة على غيرها ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ .

صاحب الجلالة! لولا أن أذان المغرب قد حان، وأننا نحب أن نقتديَ بالسنة في تقديم صلاة المغرب، لكنَّا نقول أكثر من ذلك، وختامًا، والختام مسك، أبشر أهل عنيزة جميعًا بأن صاحب الجلالة، تبرع ببناء المسجد الجامع الكبير على نفقته، فجزاه الله خيرًا، وجعله له بيتًا في جنة النعيم، في جوار رب العالمين، وحشرنا وإياه جميعًا تحت لواء سيد المرسلين، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. [الأحد ٢١/ صفر/ ١٤٠١هـ].

فقد الإمام

مهداة إلى كل من افتقد فضيلة شيخنا محمد بن صالح العثيمين. .رحمه الله

فؤادي من هول الأسى يتفطر
ودمعي على خد الضنى يتحدر

وفي النفس - ويح النفس مما أصابها -
هموم ولوعاتٌ ورودٌ وصُدَّرُ

وكيف تطيب النفس أو يسكنُ الجوى
ونار من الفقد المبرِّح تُسعَرُ

فقدنا غمامًا كان يروى به الصدى
كذا الأرض إذما أمحلت كان يمطر

تباعد حتى لا يعود فيرتجى
وأنى لمن في القبر يرجى وينظرُ

إمام زكت أخلاقه فتوطنت
محبته في الناس فهي تبختر

عسير على الأحباب فرقة ساعة
فكيف إذا كان اللقا يتعذر
فقدناه فلتاعت نفوس وأسبلت
عيون.. وداء الحزن ينهى ويأمرُ
إلى الله أشكو غصة ومرارةً
وقلبًا بساح (العدل)[1] بات يُعَفَّرُ
يعزى فلا يسلو ويأبى سوى الثوا
هنالك عند القبر يمسي ويبكر
وما ذاك إلا الفضل والعلم والتقى
تعانق ألباب القلوب فتأسر



أشيخًا توارى وهو في القلب ماثل
لك الله من غيث به الأرض تزهر

(١) هي المقبرة التي دفن فيها الشيخ رحمه الله.

تسنمت عرش العلم تنفع أمة
لها فيك مجد.. فهي بعدك تخسر
ترى فيك إن غطت من الليل سدفةٌ
ضياءً يجلِّي الليل فيها ويُسفِرُ
ترى فيك حصنًا لا يزال ممنَّعًا
وليثًا إذا ما ينعق الوغد يزأرُ
تحملت حملًا قد ينوء بأمةٍ
ولم تكُ من عض العوادي تذمر
ترفعت عن دنيا المظاهر زاهدًا
وقد كنت في وجه المناصب تبسُرُ
تناديك هذا المجد والرفعة التي
إليها جموع الناس تسعى فتقصر
فتعرض عنها لا تريد من الدنا
نصيبًا، فحظ الدين أجدى وأجدرُ

تـفـانـيـت فـي ذات الإلـه مـجـاهـدًا
تـجـابـه أرتـال الـفـجـور وتـدحـرُ
أمـرت بـمـعـروفٍ وأنـكـرت مـنـكـرًا
وكـنـت لـبـذل الـعـلم تـسـعـى وتـنـشـر
ووقـتـك لـلـتـألـيـف والـدرس نـهـبـةٌ
ولـلـذكـر والـفـتـوى نـصـيـب مـقـدَّرُ
إذا قيل: قال الشيخ أصغوا وأنصتوا
فـفـتـواك أعـلى فـي الـنـفـوس وأكـبـر
تـجـلدت لـم يـفـزعـك سـهـم بـلـيـةٍ
وكـنـت عـلى مُـرِّ الـمـصـيـبـة تـصـبـر
ظَلِلْتَ تـغـيـثُ الـنـاس فُـتـيـا وحـكـمـةً
وفي الجسم نار الداء تَصلى وتصهر
تـواضـعـت فـاسـتـعـلـيـت عـرشَ مـحـبـةٍ
فـكـل بـهـا فـي مـجـمـع الـنـاس يـفـخرُ

ويوم دنا التوديع سالت بمكةٍ
بطاحٌ بأمواجٍ من الحب تهدُرُ
لك الله كم فَزَّعت قلبًا وكم جرت
دموعٌ وكم سالت من الود أبحر
حملناك فالأكتاف نشوى بقربكم
وأما شغاف القلب فهي تحسَّرُ
بكتك جموع كنت قبلُ تميرهم
علومًا.. وبالخيرات كنت تُبصِّرُ
(عنيزة) من وقع المصاب تَزَمَّلتْ
بثوب من الأحزان يندى ويقطُرُ
بكتك بها الألباب والجامع الذي
تَزَيَّن[1].. يرجو ما تجيء وتنظر

(١) إشارة إلى الإصلاحات التي أجريت على الجامع الكبير وقت مرض الشيخ.

رحلت وكرسي الدروس تفطرت
قوائمه يبكي الإياب ويعْبَرُ
بكتك بأطراف (الشريمية)[١] التي
بررت.. نساء أيمات وقُصَّر
بكينا وما يجدي النحيب ولا البكا
ولكن حُزن النفس لابد يظهر



فيا رب إذ واريت عنا إمامنا
فآمنه مما كان يخشى ويحذر
وظَلِّله في ظل من العرش وارفٍ
إذا ضم أنحاء البرية محشَرُ
وأسكنه في قصر من الخلد مُشرِفٍ
ترويه أنداء النعيم وأنهر

(١) هو الحي الذي يسكنه الشيخ.

ويـا رب واجـمـعـنـا بـه عـنـد سـدرة
بـعـالـيـة الـفـردوس.. إنـك تَـقْـدِرُ
رضـيـنـا بـحـكـم الـلـه ربًّـا مـهـيـمـنًـا
له الـحـكـم يقـضـي مـا يشـاءُ ويـقْـدُرُ

٢٣/ شوال/ ١٤٢١هـ



في رحلة الوداع

كتبت هذه الأبيات في الطائرة، أثناء الرحلة إلى جدة للصلاة على الشيخ رحمه الله..

فقدتك.. فاستقبلتُ من بعدك الهمّا
وعانيت من هول المصيبة ما غمّا

فقدتك من بعد المحبة فانطوى
بعيني هذا الكون أغربةً سُحما

رأيت جِنان الأرض قفرًا جديبةً
وعاد نمير الماء من كدرة سُمّا

فقدتك في حينٍ ربطتُ جوانحي
ببابك.. واستقبلت من نحوك النَّسْما

ليلة الخميس ١٦/ شوال/ ١٤٢١هـ

شكر

كتبت هذه الأبيات بعد قراءتي لقصيدة الشاعر الدكتور: عبد الرحمن العشماوي، التي كتبها قُبيل وفاة الشيخ، ونشرت في جريدة الجزيرة بتاريخ ١٥/ رمضان/ ١٤٢١هـ العدد (١٠٣٠٠) وكان مطلعها:

شعري وحُبِّي فيك يلتقيانِ
وعلى المسير إليك يتَّفِقانِ

وكان في النية إتمامها.

يا شاعرًا زيَّنت عقد الشعر في
مَرْجانةٍ من أفضل المرجانِ

حَلَّيت جيد الشعر من عطلٍ بها
وفتنتَ فيه نواظر الأكوانِ

حركت أوتار الفؤاد محبةً
لما ذكرت حُشاشة بجناني

أنــت الــذي أنــصــفــت لــمــا أســبــلــت
نــبــضــات حــســك أعــذب الألــحــان
أنــت الــذي نــوَّرْت أعــيــنــنــا بــمــا
قــد صــغــت مــن دُررٍ ومــن عِــقْــيــانِ

١٧/ رمضان/ ١٤٢١هـ



ما أنت..؟!

رفل الطُّهْرُ في رداك وأرعى
لتسابيحك الجليلةِ سمعا
وكسى العلمُ ناظريك جلالًا..
ومهابًا.. يشع منهنَّ شعّا
ورأى الحق في ثيابك مأوًى
وملاذا بها يصان.. ويُرعى
أنت.. ما أنت في الدُّنا؟ أمعينٌ
يرتجى منه للبريَّةِ نفعا
أنت.. ما أنت في الدُّنا؟ أرياحٌ
تنزعُ البغي عن حمى الحق نزعا
وتسوقُ السحاب بين يديها
جاعلاتٍ من التنائف مرعى

أنت لا زلت في فضانا منيرًا
كنتَ للشمس في النظارةِ شِفعا

١٤٢٣هـ



عام !

عـامٌ ولـلدمـع فـي الأحـداق مُـرتـبـعُ
ولـلمُـصـيـبة فـي الإحـسـاس أوتـادُ

عام ولم تخف عن سمعي وعن بصري
ذكـراك تـنـفُـخ فـي شـوقـي فـيـزدادُ

عـام ولـم تـنـتـقـب آثـار فـقـدكـمُ
عـنَّـا ولا سـفـرت لـلسَّـعْـد أجـسـادُ

تـبـدد الأمـل الـصـافـي فـعـاد لـنـا
إلـى الـقـذى الـمُـرِّ إصـدارٌ وإيـرادُ

يابن العثيمين لولا العلم ما نزفت
مـن بـعـد فـقـدك أحـداقٌ وأكـبـادُ

ظَـلنـا، وفـي فـلك الأهـواء لا سـبـبٌ
إلـى الـنـجـاة.. ولا حـادٍ فـنـنـقـادُ

أراد مـصـرعـنـا قـومٌ لـبـانـهـمُ
فـجـر الـحـيـاة عـداوات وأحـقـادُ

تـوارثـوهـا عـلى الأزمـان مـا فـتـئـوا
يـذكـونـهـا يـخـلـف الأجـداد أحـفـادُ

هـم أشعلوا الفتنة الحمراء فاتخذت
مـن ديـنـنـا حـطـبًـا يـدنـيـه أوغـادُ

حتى إذا اضطرب الآساسُ واستلمت
مـهـمـة الـعَـمَـدِ الأطـواد أعـوادُ

صـرنـا كـتـمـثـال شِـطْـرنـجٍ تـعـاوره
حـسْـبَ الـمـصـالـح إدنـاءٌ وإبـعـادُ

ذو القعدة/ ١٤٢٢هـ



لا زلتَ حيًّا(١)

لا زالَ صَـوتُـكَ صـادِعًـا بــجــلاءِ
ونَـمِـيـرُ عِـلمِكَ سَـاقِـيًـا لِظِـمـاءِ

وشُـعـاعُ فـتـواكَ الـمـنـوِّرُ مـشـرقٌ
فــي كُـلِّ نـاحـيـةٍ مِـنَ الأنــحـاءِ

لا زلْتَ فـي فَلَكِ الفَضيلةِ ساطِعًـا
كـالنَّجْـمِ يَـهْدِي فـي دُجى الظَّلْمَاءِ

لا زِلْتَ تـمـنَـحُ مِـنْ نَـدَاكَ مُـظَـلِّلًا
مُـتَـفَـيِّـئـيـكَ أَوَارِفَ الأَفْـيَـاءِ

نَـبَـضَـاتُ قَـلْبِكَ لـمْ تَـقِـفْ وَبَـنَـانُـكُـمْ
لـمْ تَـنْـعَـكِـفْ عَـجْـزًا عَـنِ الإمْـضَـاءِ

لا زِلْتَ حَـيًّـا واهِـبًـا جِـيـدَ الـدُّنـا
عِـلْـمًـا يَـلُـفُّ مُـعَـطَّـلًا بِـبَـهـاءِ

---

(١) نشرت في المجلة العربية. رمضان ١٤٢٤هـ. العدد (٣٢٠). وقد حذفت هنا ما لا يتعلق بالشيخ.

إنْ غِبْتَ عَنْ بَصَرِ الزَّمانِ فَلَمْ تَغِبْ
عَـنْ أَصْـغَـرَيْـهِ وَقِـمَّـةِ الْجَـوْزَاءِ
ما كُنْتَ تُفْني العُمْرَ فِيهِ مجاهِدًا
مُـتَـعَـاهِـدًا ثَـمَـراتِـهِ بِـسِـقَـاءِ
لا زَال يُسْقَى في مُؤسَّسَةٍ عَلَى
آثَـارِكُـمْ مـحـدُوَّة بـحُـداءِ
تُـعْـنـى بِـعِـلْمٍ كُـنْـتَ رَائـدَ فِـقْـهِـهِ
وَتـمُـدُّ كَـفَّ الـبـرِّ لِلفُـقَـراءِ
وَتُـعِـيـنُ مَـنْ طَـلَـبَ الـزَّواجَ لأَنَّـهُ
طَـلَـبَ الـعَـفَـافَ وَسُـنَّـةَ الـنُّـبـآءِ
سـمَـقَـتْ بـهـا غَـايـاتُـهـا فَـتَـوَشَّـحَـتْ
ثَـوبَ الـنَّـقـاءِ وَحُـلَّـةَ الـنُّـبَـلاءِ
وَيَـزِيـدُهـا شَـرَفًـا ومَـصْـدَرَ عِـزةٍ
تَـتْـويـجُـهـا بِـأَفَـاضِـلِ الـرُّؤسـاءِ

❊ ❊ ❊

يـا شَـيْـخُ عِـلْمُكَ لَنْ يُـكَـسَّـرَ غُـصْـنُـهُ
أَوْ تَـسْـتَـكِـيـنَ زُهُـورُهُ لِذَواءِ

مـا شِـيـدَ مِـنْ لَبِـنـاتِ صَـبرٍ مـخـلَصًـا
لــلهِ فِـيـهِ مُـؤَيَّـدًا بِـزَكـاءِ

ومُـتـابَـعًـا نـهـجَ الـرَّسُـولِ وآلِهِ
سَـيَـظَـلُّ دَوْمًـا قُـدْوَةَ الـعُـلَمَـاءِ

في ٣/ ربيع الآخر/ ١٤٢٢هـ



عبد العزيز بن صالح[1]

عشر سنوات مضت، والذكرى لا تزال باقية فتية، والذكر عبق عاطر، والمواقف لا زالت تتذاكر وتستذكر.. عبد العزيز بن صالح بعد عشر سنوات من فراقه لا زال حيًّا.. ذكر باقٍ، وأعمال خيِّرة شاهدة، أسستها يده، وسقاها فكره وذكره وروحه.

لقد اقترن اسمه بطيبة، وكان لأهلها أبًا مهيبًا، كان فيها كُلًّا، أمره مطاع، وكلمته نافذة، ورأيه أسد.. وأهل طيبة عرفوا ذلك بأفعالهم قبل أقوالهم، فاعترفوا بفضله، وبمكانته، فلم يدخروا وسعًا في كشف مكنون شخصيته، وإظهار درر حياته.

وآخر لم يكن من أهل المدينة، ولم تربطه به أية علاقة، بل ولا معرفة، ولم يره إلا مرة واحدة في

---

(١) نشر جزء منه في جريدة المدينة في ٢٤/ صفر/ ١٤٢٥هـ العدد (١٤٩٦٦).

طريقه إلى المحراب لصلاة الفجر، ولكنه أولع به، شيخًا قارئًا خطيبًا..

لا عجب من محبةٍ توفرت أسبابها، وتظافرت دواعيها، من كثرة اللقاء والجوار، وثناء الناس، ومعاينة الفضائل.. لكن العجب من محبة أنشأها ترتيل وخطابة، يحملها الأثير الطاهر، إلى حيث المقام، ولا لقاء ولا علاقة أو أدنى معرفة.

ذلك الآخر أنصت إلى تلاوته، وخشع لخشوعه، فأثر فيه تأثيرًا بليغًا، وإن مما سجلته الذاكرة، أن التيار الكهربائي انقطع وقت التراويح عام ١٤٠٤هـ، فلم يستطع مشاهدة التلفاز، فاتجه إلى المذياع الذي يعمل بالبطارية؛ ليكمل الاستماع إلى (عبد العزيز بن صالح) وكان في الصف الثاني الابتدائي.

وكان من نتيجة هذه المحبة أن حاول التعرف على تلك الشخصية، بكل طريقٍ موصل، وكان من أجمل الحديث مع من يلتقي به من أهل المدينة أن يحدثه عن

(عبد العزيز بن صالح)!

إن من أبرز ما أثار في نفسي الاستفهام، وجعلني أفكر كثيرًا فيه، هو مكانة الشيخ في المدينة، لقد قال بعض من حدثني: إنه كان بمكانته كالمدير للدوائر الحكومية، وقال الشيخ عبد الله البسام -مقارنا بين مناقبه-: إنه كان عالمًا خطيبًا، وكانت زعامته ووجاهته أظهر من علمه![١] فما سبب ذلك، كم من الناس من كان في منصبه، ولم يحظ بحظوته، كم من الناس كان بمكانته أو أكثر من مكانته عند قادة هذه البلاد-وفقهم الله- ولم يتسنم ما تسنمه، فلا بد أن هناك أمرًا ما بنى هذه الثقة والقدرة التي بوأته هذه المكانة، إن العوامل الخارجية مهما بلغت، لا يمكنها أن توصله إلى ما وصل دون قدرة داخلية، يمتلكها الفرد، فتظهر في شخصيته، لقد أثبت البحث النفسي ذلك؛ فإن نظرة

(١) علماء نجد (٣/٣٩٩).

المرء لنفسه، تبلور تصوره للناس، وهي إلى حدٍّ ما تشكل صورته للناس، وإذا امتلك المرء مقومات الشخصية الناجحة المؤثرة الفعالة، فإنه يستطيع دون تكلف أن يطرح رأيه فيقبل؛ لأنه أولًا وأخيرًا لم ينتج عن عفوية أو ارتجال، وإنما كان نتاج شخصية متزنة امتلكت مقومات تؤهلها إلى مستوى سامٍ من سداد الرأي وقوة التأثير في الناس، والتمكن من مشاعرهم، واستلام أزمة إقناعهم.

الشخص المضطرب في نظرته لنفسه، كثيرًا ما يحاول الانتقام لنفسه إذا ما ظلم، بطرقٍ تشعر بوهنه وإفلاسه، فتجدهم يلجئون إلى الغيبة، وتشويه صورة ذلك المعتدي، بحق أو بباطل، وخاصة عند خاصتهم الذين يسمعون لهم، والشيخ عبد العزيز لم يكن من هؤلاء، لأنه لم يكن ضعيفًا مفلسًا، كان قويًا بالعلم والقدرة التي وهبه الله إياها، حَدَّث مرةً الشيخَ عبد المجيد بن حسن الجبرتي رحمه الله، عن بعض

من ناله منهم إساءة، وقت قضائه بالرياض، عام ١٣٦٣هـ، فقال الشيخ عبد المجيد: ألم تخبر بذلك أبناءك، ألا يعرفون هذا؟ فقال الشيخ: لم أخبرهم، أريد ألا يكون بأنفسهم على أولئك شيء[1].. إنها صفةٌ ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ [فصلت]. رحم الله ذاك الشيخ وغفر له.



---

(١) ذكر هذه القصة فضيلة الشيخ د. علي بن عبد الرحمن الحذيفي، في الندوة التي أقيمت عنه في النادي الأدبي بالمدينة في رمضان ١٤٢٤هـ.

فضيلة الشيخ عبد الله البسام.. تضحية وجهاد في سبيل العلم[1]

(١)

رمز من رموز التضحية، وعلم من أعلام الجهاد في طلب العلم، رجل شق طريقًا صعبًا ليلتمس علمًا، فخرج للناس بعد زمنٍ، ليروي عقولًا، ويحيي قلوبًا، كثير من يجهل ما عاناه ذلك المجاهد، في سبيل طلب العلم..

إنه فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

ولد رحمه الله تعالى في أوائل العقد الخامس من القرن الرابع عشر الهجري، بين عامي ١٣٤١-١٣٤٥هـ، في عنيزة، ولد في بيتٍ قد أصاب من العلم

(١) نشر في جريدة الجزيرة بتاريخ ٧/ من ذي الحجة/ ١٤٢٣هـ، العدد (١١٠٩٠).

والثقافة حظًّا، وفي أسرة معروفة بالعلم والأدب، إلا أن الظروف المعيشية لم تكن بذاك.. فوالده رحمه الله كان ضعيف الحال، مثقلًا بالديون، وتوفيت والدة الشيخ وهو صغير لم يبلغ العاشرة، فقامت عليه زوجة أبيه خير قيام، وكان شغوفًا منذ صغره بطلب العلم، فكان كثير الاطلاع في مكتبة أبيه، ثم بدأ بطلب العلم في الكتاتيب، ثم عند الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، وكان من أمارات حرصه، أنه ربما حضر درس الشيخ عبد الرحمن بعد المغرب (المسمى التقرير) ولصغر سنه، وبعد بيته لا يستطيع الرجوع إلى البيت، وحشةً من الليل والظلمة، فكان يجمع بعض الحُصُر، فيفترش بعضًا ويلتحف بعضًا، وينام في المسجد الجامع الكبير، حتى يوقظه (الريس) مؤذن الجامع عند أذان الفجر..

ولكن الحال المادية، قد ضيقت عليه، وليس له سبيل إلى التجارة؛ فليس لديه رأس مال، فعمد إلى

التكسب بعمل يده، مختفيًا عن الناس، لما لأسرته من مكانة، فكان يبيع في السوق بعض ما يعمله مختفيًا متلثما، مع محافظته على دروس العلم محافظة تامة، وذات يوم رآه والده في السوق متلثمًا يبيع، فنهره ونهاه وأغلظ عليه، فوقفت معه زوجة أبيه موقف إحسان ورحمة وبر، لم ينسه لها، فأخذت أساورها ورهنتها عند أحد التجار، واستلفت منه مبلغًا، وأعطته الشيخ، ليستأجر دُكانًا ببعض المال، ويجعل الباقي رأس مال لتجارة يسيرة، وفعلًا، حصل ذلك، وحسنت الحال قليلًا، واستمر على طلب العلم محافظًا مواظبًا حريصًا..

حسبُ نساء ذاك الزمان هذا الموقف، دليلًا على وفائهن وإحسانهن، لقد حل إحسان هذه المرأة في نفس الشيخ محلًّا عظيمًا، فلم يرضَ أن تقيمَ بعد وفاة أبيه إلا عنده، وكانت قد طلبت أن تقيم عند إخوتها فرفض، فاستشقت السفر معه إلى مكة، فقال إن لم

تسافري معي فسأنتقل راجعًا إلى عنيزة، فلما رأت إصراره وافقت، وسكنت عنده، وتوفيت في بيته بعد أن أصابها الكبر وشيءٌ من النسيان. . رحمها الله وغفر لها.

(٢)

أقول: واستمر على حرصه على الطلب عند شيخه السعدي، حتى افتتحت دار التوحيد بالطائف، فالتحق بها بعد أن استأذن والده وشيخه، وتخرج منها عام ١٣٧٠هـ، ثم التحق بكلية الشريعة واللغة بمكة المشرفة، وتخرج منها عام ١٣٧٤هـ، ورشح أثناء دراسته في الكلية للتدريس في المسجد الحرام، وذلك عام ١٣٧٢هـ واستمر على التدريس حتى وفاته. . ولم ينقطع عنه إلا ثلاث سنوات؛ إذ عين رئيسًا لمحكمة الطائف وذلك من عام ١٣٨٧حتى ١٣٩١هـ. فأتم مدرسًا في المسجد الحرام قرابة خمسين سنة[١].

(١) علماء نجد (١/ ٩٠ - ١٠٠).

لقد اضطلع الشيخ بمهام كبيرة، فقد أوكل إليه القضاء في المحكمة المستعجلة، وعين عضوًا في رابطة العالم الإسلامي، وكُلِّف بالإمامة في المسجد الحرام نيابةً عن الشيخ عبد المهيمن أبو السمح ثلاثة أشهر، ثم طلب إمامًا رسميًّا فلم يوافق، لكثرة مشاغله؛ ولأن الإمامة تستلزم ارتباطًا وضبطًا للوقت. . وصار رئيسًا للمحكمة الكبرى بالطائف، ثم قاضيًا في محكمة التميز، ثم رئيسًا لها، وعين عضوًا في مجمع الفقه الإسلامي، وعضوًا في هيئة كبار العلماء، وعضوا في المجلس الأعلى لدار الحديث الخيرية بمكة، ورئيسًا لجمعية المبرة الخيرية بمكة، ورئيسًا للجمعية الخيرية لمساعدة الشباب على الزواج بجدة، وعضوًا في اللجنة الشرعية في شركة الراجحي، وعضوًا في مجمع الإعجاز العلمي للكتاب والسنة في رابطة العالم الإسلامي، وعضوًا في تحديد المشاعر المقدسة ومحارمها، وعضوًا في تحديد الحرم المكي الشريف

ووضع أعلامه على حدوده، ورئيسًا للمكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بجدة...[١]

(٣)

وقد ترك الشيخ إرثًا علميًا عظيمًا، فقد ألف عددًا من المؤلفات، لاقت قبولًا واسعًا، وانتشارًا عظيمًا، من أشهرها:

١- رسالة مضار ومفاسد تقنين الشريعة.

٢- شرح على كشف الشبهات.

٣- حاشية على عمدة الفقه.

٤- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، طبع عدة طبعات، وترجم إلى عدة لغات، وقررته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية منهجًا لمادة الحديث في معاهدها العلمية (القسم الثانوي).

٥- الاختيارات الجلية في المسائل الفقهية.

---

(١) علماء نجد (١/ ٩٠ - ١٠٠).

٦- توضيح الأحكام شرح بلوغ المرام.

٧- علماء نجد خلال ثمانية قرون.

٨- القول الجلي في زكاة الحلي. وغيرها..

وإن المتأمل ليجد في هذه المؤلفات علمًا غزيرًا، ونظرًا ثاقبًا، وعقلية فقهية مؤصلة، ممتثلةً فيها المنهجية التامة، المضادة للتخبط والانحياز.. ولعلني أستعرض نموذجين من مؤلفاته، أحاول أن أبرز فيهما بعض ما ذكرت، من مقومات العمل العلمي المتقن..

فمن أهم مؤلفاته: علماء نجد خلال ثمانية قرون. طبع هذا الكتاب أول مرة عام ١٣٩٨هـ بعنوان: علماء نجد خلال ستة قرون. وطبع الطبعة الثانية عام ١٤١٩هـ، وقد أجاد رحمه الله في هذا الكتاب من نواحٍ عديدة منها:

١- المادة العلمية.. إن إقليم نجد - كما ذكر المؤلف- إقليم مهمل متروك، لم يعن به المؤرخون

ولا أصحاب السير ؛ وذلك لأسباب سياسية وجغرافية متعددة. . ولذا فلم يجمع تاريخه، ولا تاريخ علمائه، «ولم يبق ممن يحفظ هذا التاريخ إلا صم الجبال، وذرات الرمال العائمة في مجاهل الصحاري والقفار، وهذه الفترة لا يجدي فيها التنقيب، ولا تسعف فيها الحفريات، إلا أن يكون أثيرها الصافي لا يزال يحمل في موجاته أنغام الحداة، وأسمار المجالس، وأحاديث الرعاة، وصليل السيوف، وقراع الأبطال، وحمحمة الجياد. .»[1] ولذا فقد كان جمع المادة العلمية صعبًا جدًّا، فهي مشتتة بين أوراق متناثرة عند هذا وذاك، وأخبار متناقلة يرويها الأجداد للأحفاد، ولكن الشيخ رحمه الله استطاع بمعونة الله له أن يجمع من ذلك ما ملأ ثلاثة مجلدات كبار في الطبعة الأولى، وستة مجلدات أكبر في الطبعة الثانية، وهذا مجهود عظيم، فالكتاب هو الأول في بابه، وهذا مما جعله أعظم

(١) علماء نجد (١/ ١٢).

نفعًا، وجعل جمعه أعسر تأتيًا. .

٢- تحري الدقة والضبط. فلقد اعتنى الشيخ بالدقة عناية كبرى، وحرص لتصحيح المعلومات حرصًا عظيمًا، ولقد أدركت هذا ورأيته بعيني، فحينما أراد ترجمة الشيخ علي بن محمد الزامل رحمه الله المتوفى عام ١٤١٨هـ، اتصل علي عدة مرات، يسأل عن أشياء دقيقة، وكنت أظن أني أنا مصدره الوحيد، فلما تباحثت مع أحد طلبة العلم وجدته قد سأله أكثر مما سألني، ووافاه ذلك المسؤول بأكثر مما وافيته به، ثم أخبرني الشيخ نفسه وهو يتأكد من بعض المعلومات أنه اتصل على أخت الشيخ علي المقيمة في مكة وسألها عن كذا وكذا. .

إن أثر هذا الحرص الشديد على الضبط قد ظهر ظهورًا جليًّا في طبعة الكتاب الأولى، ولكنه تخلف بعض الشيء في الطبعة الثانية، وأرجع ذلك إلى عامل واحد فقط، وهو كبر السن، فرقٌ كبير بين مؤلِّف في

قمة نشاطه بين الأربعين والخمسين، في أعلى هرم علمه، وأرفع درجات نضجه، ومؤلف في أخريات الستين وأوائل السبعين، إن لم يفقد من ذاكرته شيئًا فقد شطرًا من قوة بدنه. وإني لأرى أن (علماء نجد خلال ستة قرون) كتاب بذاته و(علماء نجد خلال ثمانية قرون) كتاب آخر، لأن لكلٍّ منهما ميزاته وخصائصه، فإذا تميز الأول بالدقة والضبط، فإن الثاني يتميز بالجمع والإحاطة، التي لم يسبق إليها، إن تراجم الطبعة الأولى قد بلغت ٣٣٨ ترجمة، أما الثانية فقد حوت ٩٠٠ ترجمة ، وهذا فرق كبير، يخول الثانية أن تكون كتابًا مستقلًّا بذاته، وخاصة أن العنوان قد تغير أيضًا..

٣- الصدع بالحق وعدم المجاملة، التي تخفي بعض الحقائق، وتزيف بعض المناقب، لقد كشف الشيخ رحمه الله عن معالم بارزة، لم يكن ليوضحها غيره، أحب أن أحيل إلى شيء منها حرصًا على

الاختصار، فلينظر (علماء نجد خلال ثمانية قرون ٣/ ٣٩٩ السطر ٣، ٤/ ٣٢٤ وما بعدها، ٥/ ١٨٠ السطر ١٠) وغيرها..

٤- الأسلوب العذب، والانتقاء الدقيق للألفاظ، مما ينم على ثقافة أدبية عالية، ومقدرة لغوية فذة، وكثيرًا ما تظهر هذه المقدرة إذا نأى المقام بالمقال قليلًا عن العلم البحت، وانثنى إلى التأمل والوصف، ينظر مثال هذا (١/ ١٠ وما بعدها) وقد نقلت آنفًا طرفًا منه..

(٤)

أما النموذج الآخر، فهو كتابه (توضيح الأحكام من بلوغ المرام) إنه آية ظاهرة على مقدرة علمية عظمى، وحديثي عنه سأجمله في ثلاث مسائل:

١- المنهج، فقد سار على منهج متقن، حوى ما يحتاج إليه الباحث في الحديث، ودل هذا على مقدرة

فائقة، في علوم الحديث، والفقه، واللغة، لقد كان يقسم شرح الحديث إلى مسائل عدة، فيبحث أولًا في درجة الحديث، باذلًا وسعه في تحديدها، وذلك إذا لم يخرج في البخاري أو مسلم أو فيهما، ثم يتبع ذلك بشرح المفردات اللغوية، معتنيًا بالضبط، ثم يبين ما يستنبط منه من فوائد وأحكام.

٢- البحث في القضايا المعاصرة، فقد بذل جهدًا جبارًا في تحرير القضايا المعاصرة، وبيان أحكامها، وما صدر فيها عن المجامع الفقهية، وما أفتى به العلماء المعاصرون، ينظر في هذا (توضيح الأحكام ٤/ ١٠، ١١، ١٣، ١٩، ٧٥) وغيرها كثير. وإن هذه الميزة لتجعل للكتاب أهمية كبيرة، ومكانًا مصدرًا بين أمثاله.

٣- ورسالة الشيخ (القول الجلي في زكاة الحلي) كانت جزءًا من هذا الكتاب، ولكنه لما رأى أن الحديث فيها قد طال أفردها برسالة خاصة، وقد

احتوت هذه الرسالة، على صغرها، مباحث دقيقة، في تناول الأدلة من الكتاب والسنة، وأوجه الاستدلال بها، والبحث في تصحيحها، وتصحيح الاستنباط منها، كما حوت اعتراضات وإجابات، وختمها بخلاصة قرر فيها ما اختاره «وهذا قول نرجو الله تعالى أن يكون سديدًا بعيدًا عن الشدة في إيجاب ما لم يجب، وبه ضبط للمتهاونين والمتساهلين عن التذرع إلى تعطيل زكاة الأموال بدعوى حلي اللبس»[(١)].

(٥)

وكان لدروسه قبولٌ واسعٌ، وشهرة كبيرة، لما يبعث فيها من فوائد، ولأنها تصلح لطبقات المجتمع كافة، وكان بعضٌ منها ينقل عبر الإذاعة، كما كان يشارك في برامج الإفتاء في الإذاعة والتلفاز.. وكانت لغته عامية في غالبها، وهذا وإن عدت الفصحى وهي اللغة القرشية التي نزل فيها القرآن أكمل وأحسن، إلا أن لغته

(١) القول الجلي: (٤٤).

لم تجاوز العربية بلهجاتها، ولئن استعذبت اللهجة الشامية من لسان فضيلة الشيخ علي الطنطاوي، واللهجة المصرية من لسان الشيخ محمد الشعراوي، فإن اللهجة القصيمية لأعذب مخرجًا وأندى جرسًا من لسان الشيخ عبد الله البسام، رحمهم الله جميعًا، كيف لا وهذه اللهجة امتداد للهجات العربية القديمة، التي أثبتها سيبويه في كتابه، وغيره من العلماء، بل جاء القرآن الكريم بما وافقته هذه اللهجة، فمن ذلك، الوقوف على نون الوقاية بالسكون، وحذف ياء المتكلم، وقد جاء في قوله تعالى ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود:٥٥] وقوله: ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر:١٥]، ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر:١٦]. . ومن فصيح ما يستعمله العوام في نجد الكسكسة، وهي قلب كاف المؤنثة المخاطبة سينًا، وقد شمل هذا الانحراف في العامية النجدية كثيرًا من الكافات، وإن لم تكن ضمير المؤنثة المخاطبة، ومن ظواهر العامية

ذات الأصول اللهجية الفصيحة، نقلهم حركة هاء الضمير إلى ما قبلها، فيقولون في اضْرِبْهُ: اضْرِبُهْ، ومن شواهد ذلك قوله:

* فقرَّبْنْ هذا وهذا أزحلُهْ *[1]

قلتُ: ولئن كانت هذه لغة الشيخ في مقاله، إلا أن لغته في كتابته لا تخرج عن الفصاحة قيد أنملة، بل إنها في مستويات راقية من الضبط والإعراب والبلاغة..

(٦)

وبعد حياة حافلة بالعلم، والدعوة، والجهاد في سبيلهما، أصيب الشيخ رحمه الله بمرض في أذنه، أفقده السمع، وآلمه ألمًا شديدًا، ولا يزال به حتى عزله عن الناس، ثم توفي رحمه الله بعد معاناته منه قرابة السنتين، ضحوة يوم الخميس السابع والعشرين

(١) الكتاب (٤/ ١٨٠).

من ذي القَعْدة في هذا العام ١٤٢٣هـ. وصلي عليه في الحرم المكي الشريف، وشيع جنازته جمع كبير جدًّا، ضاقت بهم السبل المؤدية إلى مقبرة العدل. . أسأل الله أن يرحمه ويغفر له وأن يسكنه فسيح جناته، وألَّا يكله إلى نفسه ولا إلى أحد من خلقه طرفة عين ولا أقل من ذلك، وأن يجعل ما أصابه تكفيرًا لسيئاته ورفعةً في درجاته، وأن يجمعنا به في جنات النعيم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، إنه سميع مجيب.



لَوعَةُ فَقْدٍ[1]

في رثاء فضيلة الشيخ د. عمر بن محمد السبيل - رحمه الله تعالى -.

أفاضت عيون يوم فقدك أم همى
من القطر ميزاب يصب من السما؟
أم الناس كل الناس قد أجمعوا على
بكائك في سيل من الدمع أُسجما؟
كسا الفقد إشراق الوجوه كآبةً
ونارًا لظاها في الجوانح أَضرما
ولا فقد تخشاه النفوس وتشتكي
إذا حل سقمًا مبرحًا ومؤلما
سوى فقد من كانت شمائله ندًى
أناف، وعلمًا لا يزال معظما

(١) نشرت في جريدة الجزيرة بتاريخ ١٥/ المحرم/ ١٤٢٣هـ العدد (١٠٧٧٤).

فـأروى عـقـولًا مـن مـعـيـن نـقـيـةٍ
وأروى قـلوبًـا مـن مـحـبـتـه ظِـمـا
إذا قـدر الـرحـمـن خـيـرًا لـعـبـده
يـفـقـهـه فـي الـديـن مـنـه تـكـرمـا



أبـا أنـسٍ لـولا الـمـحـبـة لـم تـكِـفْ
عـليـك مـآقٍ مـن مـحـاجـرهـا دمـا
ولـم تـصـل نـيـران الـفـراق حـشـاشـةٌ
يـريـش إلـيـهـا حـسـنُ خـلـقـك أسـهـمـا
عـلـيـك ذرفـت الـدمـع والـدمـع آيـةٌ
لـمـا اخـتـار فـي كـنـه الـمـشـاعـر مـجـثـمـا
ومـا لـي لا أبـكـي فـمـا عـيـب مـن بـكـى
تـقـيًّـا عـلـى عـرش الـسـمـاح تـسـنـمـا

عـرفـتـك نـبـراسًـا يـضـيء بـشـاشـةً
ويـسـفـر ربـعًـا دون جـودك مـظـلـمـا
أنـاخ لـديـك الـجـود فـانـتـظـر الـنـدى
فـقـيـرًا ومـسـكـيـنًـا لـبـابـك يـمـمـا
خلقت عـطـوفًـا لا تـنـي عـن رفـادة
ومـن كـان ذا عـطـف أفـاض وأكـرمـا
تـواضـعـت فـاسـتـعـلـيـت عـزًّا ورفـعـةً
وسـابـقـت فـي عـلـيـا الـمـنـازل أنـجـمـا
أممت جموع الناس في خير بقعةٍ
تـرتـل آيـات الـكـتـاب تـرنـمـا
وناديت تحت البيت تخطب واعظًا
تُـبَـلِّـغ مـيـراث الـرسـول مـعـلـمـا
بنفسي ذاك الصوت ما أعذب الصدى
صـداه ومـا أصـمـى نـواه إذا رمـى

❊ ❊ ❊

أبـا أنـسٍ مـا نـصـف شـهـر أشـفـنـي
وأيـبـس مـنـي كـل عـرق وأسـقـمـا

سوى سدفة عظمى على القلب خيمت
وغشَّى نظيري من قتامتها عمى

فلم تصطبح تلك القتامة بالذي
تمنيت لكن بالذي كان أشأما

ظللت بها حيران حينًا إلى الرجا
أقاد وأحيانًا إلى اليأس مرغما

أُصبتَ..فكان القلب من خوفه الردى
ضجيعك.. في قسم العناية نُوِّما

فوالله ما فارقت عيني ساعةً
ولا القلب، بل ذكراك ترقد فيهما

وكنتُ إذا عين الخلائق هومت
وآوت إلى جنب من العيش أهضما

دعوت إله الناس أن يكشف الذي
أصابك من داء أضر وألَّما
هو الله حسبي لا يكون سوى الذي
أراد قضاءً للبرية ملزما
فلما أفلت اليوم عن صفحة الدنا
وغادرتها تشكو ظلامًا مُعَتِّما
تضرعت للرحمن أن يجعل الذي
أصابك تكفيرًا لذنب تقدما
وأن تسكن الفردوس في جنة العلا
وتلحق بالصحب الكرام منعما

٦/ محرم/ ١٤٢٣هـ



عُمَرُ السّبيل.. عِلْمٌ وَخُلُق

إن الله تعالى تفضل على طائفة من عباده، فأورثهم الكتاب والحكمة، حفظًا وإدراكًا وتدبرًا، ورزقهم لذلك رفعةً ومهابةً وفضلًا، وكان من مننه عليهم أن وفقهم لأداء زكاة نعمته، فبلغوا ما بُلِّغوا، فنفعوا أممًا، وأحيوا مواتًا، وأنقذوا مهجًا كانت على شفا جرف، وفكوا من آسار الضلال مَن كُبِّل فيها ما غبر من دهره.

ولأجل هذا الفضل والإحسان الذي تقلبوا فيه، ألقى الله لهم القبول، فأحبهم الناس كما يحبون أهليهم، وعظموهم لما يدركونه من مكانتهم، فإن القلوب إذا رأت أمارات الإخلاص، وعلائم النزاهة، انقادت حبًّا وتعظيمًا ومهابةً.

ومن جمع مع هذا الفضل العظيم الخلُقَ الحسن، والعقل الراجح، فقد امتلك أزمة القلوب، وقيَّد مُعامليه بألوان الفضل والإحسان والمودة، فلم يعدموا

فقهًا أو جودًا أو مشورة، أو كلمة طيبة.. أو ذلك كله وأكثر منه، فهم كحامل المسك، لكن مسكهم إرث الأنبياء، وحلية الفضلاء، وهو ميزان التفاضل الحقيقي بين الناس؛ لأنه سبب الخشية، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ ، والخشية من التقوى، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ .

فإذا فقد هؤلاء.. فالمصيبة جُلَّى.. والخطب أعظم.

ولا أحسب فضيلة الشيخ عمر بن محمد السبيل رحمه الله تعالى، إلا واحدًا من هؤلاء، الذين جمعوا من الصفات الحميدة، ما قل أن تجتمع في أحد، حرصٌ على الإحسان والبر، ووقارٌ وسكينة، مع البشر الذي لا يفارق محياه، وأدب جم في الحديث، لا يؤم إلا ما يسعد محدثه، ولا ينازع في أمر، وإن تيقن منه، لقد شهدت هذا بعيني، ولا أحدث به عن أحد..

لقد جلست معه عدة مرات، أتحفني فيها بفوائد

جليلة، في الفقه، والأنساب، والتراجم، والكتب، والتاريخ، ولم يكن متكلِّفًا متفاصحًا، ولا متفيهقًا متعاظمًا، بل كان لطيفًا متواضعًا، «فلو أردت أن أجمع صفاته في كلمة واحدة، لم أجد أبلغ ولا أوجز ولا أصدق من العذوبة. كان عذبًا في حديثه، عذبًا في خلقه، عذبًا في معشره، لطيف النفس، موطأ الأكناف، بعيدًا كل البعد عن التكلّف المقيت، والتواقر الثقيل، ولكنها العذوبة واللطافة وحسن الخلق، وطيب الحديث»(١).. لقد كان «شخصية فذة نادرة.. عالمًا فقيهًا حافظًا.. بعيدًا عن التكلف والتصنع»(٢).

---

(١) من مقال للشيخ د. عبد الوهاب الطريري بعنوان: (أقحوانة الحرم) نشر في موقع الإسلام اليوم على الشبكة العنكبوتية بتاريخ ٣ محرم ١٤٢٣هـ، وفي جريدة الرياض العدد ١٢٣٢٤ في ٨ محرم ١٤٢٣ هـ.

(٢) من مقال لفضيلة الشيخ الدكتور عبد الوهاب أبي سليمان عضو هيئة كبار العلماء. جريدة عكاظ العدد (١٢٩٨٨)، في ٥ محرم ١٤٢٣ هـ.

لم ينشغل رحمه الله عن العلم، بل قضى كل حياته متواصلًا معه، تعلمًا وتعليمًا وتأليفًا وإفتاءً، ولم تكن المناصب الإدارية مطمعًا له ولا غاية، بل كان كثيرًا ما يقول: «وددت لو أتفرغ للإمامة والتدريس في المسجد الحرام»[١]، وكان من نتيجة هذا أن داوم على درسه بعد العصر في المسجد الحرام، منذ توليه الإمامة حتى وفاته، كما كان يدرس في بعض مساجد مكة المكرمة، إذا طلب منه بعض الطلاب ذلك، كما شارك في عدد من الدورات العلمية الصيفية التي أقيمت خارج مكة المكرمة[٢]، كما صدرت بعض آثاره العلمية، فمن ذلك: إيضاح الدلائل في الفرق بين المسائل. للزريراني (تحقيق) وهو رسالة الدكتوراة. والبصمة الوراثية ومشروعية استخدامها في النسب والجناية،

---

(١) من ترجمة كتبها الشيخ عبد الملك السبيل. لدي منها نسخة مصورة، لم تطبع. ص: (١١).

(٢) المصدر السابق.

وحكم الطهارة لمس القرآن الكريم، ومن منبر الحرم المكي (خطبه في المسجد الحرام)، وجهود أخرى لم تطبع حتى الآن..

أسأل الله تعالى أن يغفر له، وأن يكون ما قدم للعلم في ميزان حسناته، إنه سميع مجيب.



وداعًا!!

في رثاء الوالد زامل الصالح الزامل السليم رحمه الله تعالى[١].

وداعًا..- ودمع العين يذرف - يا جدي
وداعًا..وهل يشفي البكاءُ من الفقد؟
وداعًا وحسبي بالوداع مصيبةً
فكيف إذا كان الوداع بلا عَوْدِ؟

---

(١) هو الجد زامل بن صالح بن زامل العبد الله السليم. ولد في الكويت في ذي القعدة ١٣٢١ هـ، وطلب العلم في عنيزة على الشيخين صالح القاضي وعبد الرحمن السعدي، اشتغل في التجارة في البصرة وعدن وجيزان وأبها والطائف، صحب الشيخ عبد الله القرعاوي في جيزان، كان مثالًا في شدة الورع في عبادته ومعاملاته، صدر له «المجموع المنتخب من المواعظ والأدب» في مجلدين، و«المنتقى الثمين من مدارج السالكين»، توفي رحمه الله تعالى في الرياض ليلة السبت الثالث من ذي الحجة عام ١٤١٩هـ.

وكـيـف إذا كـان الـمـودَّع والـدًا؟
إلى الله أشكو ما أعاني من الكَمْد

أفـقـدًا يـحـيـل الـحلو سـمًّـا وعـلقـمًـا
ويجعل سهل الأمر كالحجر الصلد

أفـقـدًا يـواري تـحـت بـرديـه لـوعـةً
تـذيـب فـؤادًا لا يـفـيـق مـن الـوجـدِ

تـألَّم لـمَّـا مـلَّك الـحُـبَّ أمـره
وأخفى من الأنَّات أضعافَ ما يُبْدِي

ومـن فـقـد الأحـبـاب حُـمِّـل زفـرةً
يـنـوءُ بـهـا ثُـقـلًا ويـالـيـتـهـا تُـجْـدِي

يـمـر بـه طَـيْـف فـيُـضـحِـي أسـيـرَه
ويذرِفُ من ماء العيون على الخدِّ

وتعصف نكباءٌ من الحزنِ بالحشا
فتذرو سريعًا ما تلاقي من السعدِ

إلى الله أشكو ما برى الجسم من جوًى
أصاب سويداءَ الفؤادِ من الفقدِ
فقدتُ الذي قد كان كل حياته
يُرَوِّي أصولَ الخير من أعذَبِ الوِرْدِ
يمير المعالي بالنزاهةِ والنقا
ويرعى أساساتِ الأمانةِ والعهدِ
لقد كان ينهى الناسَ عن كل منكرٍ
ويأمر بالمعروف والخيرِ والرُّشْدِ
وقد كان للقربى وصولًا فلم يزَلْ
يجود لمن يرجو الرِّفادةَ بالرِّفْد
ويروي ظما المسكِينِ سِرًّا لعله
يفوز بظل الله في موقفٍ مُضْدِ
سيفقده من قد تفيَّأ وَصله
وبات يُرَجِّي أن يجودَ وأن يُسْدي

سيفقده بيتٌ بناه على الهدى
وشَنَّف سمع البيت بالذِّكرِ والوِرْدِ
سيبكيه أولادٌ حباهُمْ عطْفَهُ
وأسقاهُمُ من مَوْرِدِ الخير ما يهدِي



أجدِّيَ يا من كان فَخْرَ عشيرتي
وكان لحسن الخُلْقِ في ذُرْوَة المجدِ
إذا ذكروا من قد حوى الفضل والتقى
ذُكِرْتَ بأزكى ما يُقالُ من الحمدِ
تعاملتَ بالحُسنى فبورِكتَ تاجِرًا
وفزت برِبْحٍ لا يُقدَّرُ بالعدِّ
مواقفُ في أبها وجازانَ لم يزلْ
يفوحُ شذاها بالأريجِ وبالرَّنْدِ
وحسبُ الفتى ذكرٌ يطوِّلُ عمرَه
فيبقى مدى الأيامِ ينشرُ بالوَرْدِ

سأبكيك يا جدي فحبك في دمي
يسيل فيروي كل ما ضمه جلدي
حننت علينا كلنا وخصصتني
بِوُدٍّ.. فهل أنسى مبادلة الوُدِّ؟
سأبكيك والذكرى تهيج لي البُكا
وترمي بسهمٍ في الحشاشة والكبْدِ
تعيد لي الذكرى رسالتك التي
تظل تشب القلب بالوجد كالزندِ
حوت دعواتٍ من سنا القلب سُطِّرتْ
فكانت على نفسي ألذ من الشهدِ
ظلِلْتُ على تلك الرسالة حانيًا
أُقبِّلها والدمع يجري على خدي



دعوت إلهي أن يبلغك المنى
فتنزل في الفردوس من جنة الخلد

وتسقى بها كأسًا يفوح ختامها
بأطيب ما يُلفى من المسكِ والندِّ
وتلقى بها الحور الحسان كواعبًا
عرابًا فلا يعمدن للهجرِ والصدِّ
وتلبس أثواب الكرامة سندُسًا
فقد كنت في الدنيا الحقيرة ذا زهدِ
سألت إلهي أن يكون لقاؤنا
هنالك إذ لا خوف من فقدِ او بُعدِ
عليك سلام الله حيًّا وميّتًا
ستبقى مدى الأيام في النفس يا جدي

عنيزة ١٥/ذو الحجة/١٤١٩هـ



اللوعة والدموع[1]

في رثاء فضيلة الشيخ علي بن محمد الزامل[2] رحمه الله تعالى.

---

(١) نشرت في جريدة الجزيرة بتاريخ ١٩/ رجب/ ١٤١٨ هـ العدد(٩١٨٣). والمجلة العربية عدد شعبان ١٤١٨هـ.

(٢) علي بن محمد بن زامل بن عبد الله السليم. ولد في عنيزة في شوال ١٣٤٦هـ. وتوفي والده وله ستة أشهر، كف بصره وله من العمر خمس سنوات عام ١٣٥١هـ. بمرض الجدري.

ونشأ في حضانة والدته رحمها الله، وعناية عمه إبراهيم الزامل، الذي كفل له حياة سعيدة، لم ير فيها بفضل الله ثم عمه شقاءً ولا بؤسًا.

ودرس في الكتاتيب على يد المربي عبد العزيز الدامغ رحمه الله وغيره، فحفظ القرآن كاملاً قبل البلوغ.

ثم درس على الشيخ علي الصالحي (ت١٤١٥هـ) والشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع (ت١٣٨٧هـ) وقد =

....

= عينهما الشيخ عبد الرحمن السعدي (ت١٣٧٦هـ) لتدريس صغار الطلبة، فقرأ عليهما كتاب التوحيد، ومنهاج السالكين لشيخه، وقرأ الآجرومية وملحة الإعراب.

وفي عام ١٣٦١هـ شرع في القراءة على شيخه عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ولازم دروسه ملازمة تامة، فقرأ عليه كتاب التوحيد والواسطية والطحاوية، وتفسير الجلالين، وبلوغ المرام ونخبة الفكر، والروض المربع، ومنتهى الإرادات وشرحه، وشرح الرحبية، ومتن الورقات ومختصر التحرير، وشرح قطر الندى، وألفية ابن مالك، وحماسة أبي تمام، ومعلقة زهير بن أبي سلمى.

كما قرأ على كل من: الشيخ عبد الرحمن بن عودان. والشيخ عبد الرزاق عفيفي، والشيخ عبد المهيمن أبو السمح، وغيرهم.

وقد التحق بالمعهد العلمي بالرياض، وكان من شيوخه فيه: الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ عبد العزيز الرشيد، والشيخ عبد الله الخليفي، والشيخ

. . . .

محمد الأمين الشنقيطي. ثم التحق بكلية الشريعة انتسابًا، ونال شهادتها.

ولما افتتح معهد عنيزة العلمي عام ١٣٧٥هـ عين مدرسًا فيه، وبقي على ذلك تسعًا وعشرين سنة، ثم انتقل إلى جامعة الإمام لما افتتح فرعها في القصيم، فدرس فيها ست سنوات.

وكان له دروس في بعض المساجد في النحو. ومن تلاميذه: الشيخ سامي بن عبد الله السلمان، والشيخ محمد بن سليمان السلمان، والشيخ خالد بن صالح الشبل، والشيخ سعد بن عبد الله الواصل، والشيخ سامي بن محمد الصقير، وغيرهم كثير.

وللشيخ شرح على الألفية شرحه للطلاب وهو الآن تحت الطبع.

كما أنه له إعراب الحزب الأول من القرآن الكريم. ولا يزال مخطوطًا.

وكان ذا أخلاق رفيعة، لا تسمع منه الكلمة السيئة، باذلاً للمال، كثير القراءة للقرآن، جم التواضع، بشوشًا =

أقــامَ بــقــلـبِــي حُــبُّــه وتَــربَّــعــا
وأطــنــابُــهُ غــارتْ بــقــلــبــيَ أذْرُعــا
وأسـقـى سـحـابُ الـوُدِّ قـلبِـيَ مـنـزِلًا
عـلـيـه الـحـيـا حتَّـى تَـرَوَّى وأمْـرَعـا
لحى الله فعل الحُبِّ.. أسعَدَ ساعةً
مـحـبًّـا.. وأشـقـاهُ مـن الـبـيـن أربـعـا
سقاه من الشهد الذي طاب جُرْعةً
وأتـبـعـهـا كـأسًـا مـن الـسُّـمِّ مُـتـرعـا

= مبتسمًا لين الكلام.. وكانت وفاته رحمه الله في عنيزة، الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الاثنين السادس والعشرين من جمادى الثانية عام ١٤١٨هـ. وصلى عليه زميله الشيخ محمد بن صالح العثيمين عشاء ذلك اليوم، وكانت ليلة مشهودةً، بلغ الزحام في تشييعه مبلغًا عظيمًا، رحمه الله وغفر له.
(للاستزادة، ينظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون ٥/ ٢٥٢-٢٧٦).

فـلولاه مـا غَـنَّـى امـرؤ مـتـغَـزِّلًا
وما قُـمـت أرثـي والـفـؤاد تـفـجَّـعـا

فما الحال إذ شطت نوى الشيخ هل تُرى
حُشاشةُ نفسي وَدَّعتْ يوم وَدَّعا؟

بل العين ناداها الفؤاد ألا ادمعي
فإن الأسى في القلب يظهر أدمُعا

فقدت الذي أروى العقولَ معينُهُ
وأروى المآقي فقدُه يوم شُيِّعا

هو العم وابن العم والشيخ والذي
أراه على هام الذرى متربِّعا

هو الشيخ من أمضى السنين تعلُّمًا
وأجهد فيه النفس حتى تضلَّعا

وأدمن طرق الباب حتى ينالَه
فأصبح باب العلم للشيخ مُشْرعا

ولما أن استكسى من العلم فاكتسى
وأُلْبِس تاجًا باللآلئ رُصِّعا
أفاض على الطلاب من مُزْنِ علمه
وأسقى فؤادًا كان من قبلُ بلقعا
فأصبح وعرُ النحو سهلًا بشرحه
كذلك قفر الفقه أصبح مُرْبِعا
وفسَّر آيات الكتاب بما وعى
من النقل قبل العقل أكرم بما وَعى
كساه إلهُ الخلقِ ثوبَ مهابةٍ
وثوبًا من الأخلاق ليس مُرَقَّعا
وثوبًا من التقوى تَزَمَّل فيه مُذْ
نشا، بثياب المكرمات تلفَّعا
بكاه الألى ساروا بنور سِراجه
وأنجُمِهِ الزُّهرِ الألى كُنَّ لُمَّعا

بكاه من استفتوا فألفوه عالمًا
حليمًا ضليعًا بالإجابةِ مُقنِعا



وُتِرتُ.. فناديتُ التجلُّدَ داعِيًا
وهيهات إرعاءُ التجلُّدِ مَسْمَعا
بكيتُ لعل الدمع يُطْفئُ لوعةً
يُسَعِّرُها فقدي حبيبًا مُودَّعا
عزائي جمع فاق من كان قبله
يشَيِّعُهُ مثلُ الخميس مُروِّعا



عليك سلامُ الله يابن مُحمَّدٍ
ودَعْواتُ صِدقٍ أن تُسَرَّ وتُمْتعا
بجنات عدْنٍ دانياتٍ قطوفُها
وأن تترقَّى في الجنان وتُرْفعا

وأن تــتــحــلَّى بــالأســاور فــضــةً
وتـلبَـسَ أزهـى مـا يـكـون وأنـصـعـا
وتـشـربَ كـأسًـا زنـجـبـيـلًا مِـزاجُـهـا
وإن خـتـام الـكـأسِ مـسـكٌ تـضـوَّعـا
كـذلـك تـلقـى الـحـورَ عُـرْبًـا كـواعـبًـا
وتـأمـن مـمـا قـد أخـاف وأفـزعـا

عنيزة في ٣/ رجب/ ١٤١٨هـ



موقف[1]!!

إلى صديق عزيز وهو على فراش المرض..

أفْـزَعَ الـنـفـسَ نـاعِـقُ الـخـوْفِ لـمّـا
أنْ رأيـتَ الـسِّـقـامَ حـطَّ رحـالَه

فـاعـتـلى وجـهَـكَ الـبـهـيَّ اصـفـرارٌ
بـدَّلَ الـبِـشْـرَ والـصـفـاءَ أحـالَه

مـا تـمـاسـكـتُ إذ رأيـتُـك نِـضْـوًا
ظـامـئ الـعـودِ غـافـيًـا فـي الـضـآلـه

فالتقى الدمْعُ في سجالٍ مع الصَّبْـ
ـرِ فـولّى سـاحِـبًـا أذيـالَه

وجـرى الـدمـعُ سـاخـرًا مـن بـنـانٍ
تَـقْـصِـدُ الـخـدَّ كـي تُـزيـلَ ابْـتِـلالَه

مـوقـفٌ..والـدُّمـوعُ تـفـضـح صـبـري..
لـمْ أشـأْ يـومًـا أنْ تـرانـي خِـلالَه

(١) نشرت في المجلة العربية عدد محرم ١٤٢٥هـ.

ورأى الحُزْنُ في الشِّفاهِ مقرًّا
مَكَّنَ الصَّمْتَ أن يطيلَ احتِلالَه
وتوالَتْ على جَبِينِكَ قُبْلا
تُ فُؤادٍ قدِ امْتَلكْتَ عِقالَه
ما لحُزني وما لدَمعِي سَبيلٌ
يُبْلِغُ القلبَ أنْ ينالَ مَنالَه
يُبْهِجُ القلبَ أن أراكَ سعيدًا
والأذى عنك قَد طَوَى سِرْبالَه
أن أرى البِشْرَ في محياك نورًا
وَعَليك الشفاءُ ألقى ظِلالَه
أنْ أَرَى المجْلِسَ الذي قد حَوانا
وَأَراناكَ صُورةً لِلنَّباله
أن أراه وقد أناف مَهابًا
قَدْ تَولَّيْتَ أنْتَ فيه المقالَه

وَأَرَى الـحِـكـمَـةَ الـجـلِيـلةَ تـمـحـو
عـن أكُـفِّ الـحـوارِ وشـمَ الـجـهالـه

فـعـســى الـلهُ أن يَـمُـنَّ فـتُـشْـفَـى
فَـهْـوَ ذو الـفـضـلِ والـغـنـى والـجلالَه

عنيزة في ١٥/ جمادى الأولى/ ١٤٢٤هـ



تحية الحفاظ[١]

ينال العلا من بالعلا أشغل القلبا
وأشهر في وجه الهوى الصارم العضبا
وأفرغ من ماء التجلد آجنًا
عليه ذنوبًا ثم أتبعه غربا
وشد إلى العليا الركاب ولم يخف
لهيب سموم والشمال إذا هبا
يشق طريق الحزن صعبًا توكلًا
على الله لم يخش النوى والمدى الصعبا
بهذا تنال المجد نفس ترومه
فتدرك ما فات الألى أسروا حبا
فلم يستبح ساح العلا وصروحها
دعي سقى من خمر لذته اللبا

(١) ألقيت أمام الشيخ محمد العثيمين - رحمه الله - في حفل تخريج حفظة كتاب الله في الجامع الكبير في عنيزة.

سبته سعاد خير ما يملك الفتى
فأمسى لها عبدًا إذا أمرت لبى
يريق لها كاس الكرامة علها
تجود بوصل بعدما أعرضت غضبى
أيدرك شأو المجد من كان همه
كهذا وكانت نفسه للهوى نهبا
أيدرك شأو المجد من بات لاثمًا
ثغور الأماني يرشف الأمل العذبا
أبى الله إدراك المعالي لعاجز
تمنى ولم يركب لمنيته دربا
ولكن تنال المجد نفس تشبعت
طموحًا وإقدامًا لكي تبلغ الشهبا



وإني أرى ممن تألق نخبةً
على هامة الجوزاء قد حلقت سربا

سمت بهم نحو الفضيلة أنفس
تزكت لترضي من تدين له ربا
قد احتضنت آي الكتاب صدورهم
فحسبك هذي أن تكون لهم قربى
ومن يحفظ القرآن يرجو مثوبةً
ويعملْ به يلق النعيم له عقبى
لقد أنزل الرحمن للناس رحمة
تغيث قلوبًا من ضلالتها جدبا
تروي الصوادي حكمة وهدايةً
فتبدو قفار الأرض معشبة غُلبا
كتاب يضيء الكون من بركاته
يذب دياجي الجهل عن أهله ذبا
شفاء إذا عض السقام بنابه
كفى بكتاب الله للمشتكي طبا

هو النصر يأتي النصر مما أتى به
ويقلب إن ردت تعاليمه قلبا

ومن يبتغ العز المروم بغيره
ينله انخذالًا شاعبًا أمره شعبا

حلفت يمينًا لا انتصار بدونه
ولا عز إلا أن يكون له قطبا

سيبقى كتاب الله ينصر دينه
وإن جمعت أعداء ملته ألبا

سيبقى كتاب الله حصنًا لأهله
يكون ملاذًا إن هم شكوا الكربا

(الأربعاء ٨/ المحرم/ ١٤٢١هـ)



الفهرس